ملحق المحرّر

فلسطين

ملحق المحرر العدد (٥٥٤) | الخميس ٦ أيار ١٩٦٥ | فلسطين رقم ١٤

سقوط حيفا

القوى الثورية تجيب على سؤال من «فلسطين»

منظمة التحرير كيف والى اين ؟

رأي حر

من وحي المراحل

بقلم مصطفى الجوزو

يحيا العبيد ويقتـــل الاحرار — فالى متى تتمهل الاقدار ؟
والى متى صوت الخيانـة ناعب — أفلا يثور بصدرنــا اعصار ؟
والام يلتهم اللهيب جراحنـــا — والام يغلي في الصدور الثار ؟
أم قد غدونا كالرماد فلا لظـى — اذ أخمدت بين الضلوع النار ؟
في كل يوم خائن متبجـــــح — يعوي ، ومذم بـــه الدولار
وعلى المنابر كل حين راقـــص — في وجهه وعلى اللسان العـــار
هزاته والانثناء « مراحـــل » — واذا تعرى عريه اطـــوار
لا طالــــب اجرا وليس بأخذ — الا الذي جادت به الفـــجار
فشعاره أن خذ وطالب لينـــا — يرضى العشيق ويكثر الزوار
عيناه زرقاوان ذات تألـــق — متوقـــد من خلفها استعمـــار
ما قد عرفنا مثلها في يعرب — او بربر ... انا بها لنحـــار
قد علموه الرقص في حاناتهـم — في الغرب حيث تراكم الاقـذار
وسقوه كأس الذل من أدنانهم — فمضى يتعتع رأسه الاسكـــار
لينال ما تغنى النفوس فـــداءه — ولاجله تتزلـــزل الامصـــار
وكأننا مثل الدخان امامـــه — حتى تتطـاول نحونا المغـــدار
ولقد يثور بنا اللسان وانمـا — يجـم الرشيش ويصمت الهدار
ولئن تكن ثوراتنـــا بلساننـــا — لا ثـــورة كانت ولا ثوار
وليسخرن منا العدى ويدنسوا — ارض العروبة ولتذل ديـــار
ان ذل شعب حين يبغي حاكـم — يرضى المذلة ان بغى الاغيـــار
والذل شر الذل صمت حائـــر — في وجه باغ دونما استنكـــار
تبا لقوم ساس امر بلادهـــم — الخائـــن المجنون والمهـــذار
من باع ثورة شعبـه وكفاحـة — وعتا وخالج نفسه استكبـــار
كي يدعي صنع الحضارة كلها — ويقول اني المبـــدع الجبـــار
في بعض جيل قد خلقت روائعا — وحـــدي وتعجز امـــة وتحـار
ما كــان للوغد الجبان تحكـم — في امـــة ابناؤهـــا احرار
يا امتي اين الرجال فيخرسوا — هذا العميل ، ففي السكوت شنار
ايـــن الالى لله باعوا نفسهم — ودعاهم داعي الوغى الهـــدار
وتهيـأوا للموت دون حياضهم — ليطهروا مـــا شانـــه الاشرار
ويحطموا صهيـون يوم لقاتهم — ويكلل الوطـن السليب الغار
من قبل صهيون اقتلوا هذا الذي — شق الصفوف لسانـــه الثرثار
فلمثـــل رقبتـه شفار سيوفنا — ولتهـدم الاحجـــار والاوكـار

الاشتراك البريدي في فلسطين

- لمدة سنة ٢٥ ل.ل. او ٣ دنانير (اردنيـــة عراقية ، كويتية) .
- لخارج الوطن العربي تضاف الى هذا المبلغ اجور البريد الجوي او السطحي .
- لنصف سنة ١٥ ل.ل. او ما يعادلها .

مجموعـات محدودة من الاعداد التي صدرت من فلسطين

اطلبها من الادارة (٥ ل.ل.)

البريـــد

في بريد اليوم آراء شعب فلسطين البطل في قضيته ، يعبر عنها بكلمات شجاعة بريئة ، فيها الاصرار على المعنى نحو معركة التحرير بعزم لا يلين ولا يهون .. وانف المشككين في الرغام !

« فلسطين »

● احمد صالح رمضان كلية التربية والتعليم ـ طرابلس

لماذا يكدس عدونا السلاح ويحشد القوى لماذا يجلب الملايين من المهاجرين ليس هذا لشعب فلسطين وحده لقد فقد شعب فلسطين كل شيء، لكنه الخطر الزاحف يرنوا الى اعماق الوطن العربي الكبير بكل اطرافه .

اخي العربي : حقيقة لا ينبغي ان تغيب عنك ان سطورها يا اخي تلتهب كالنار تلفح بشواظها قلب كل عربي اينما كان وهي معركة الغد القريب على ارض فلسطين ستكون ولا شك معركة المصير العربي معركة الوجود او العدم معركة البقاء أو الفناء .

أجل يا اخي ان نار هذه الحقيقة يجب ان يحس بها كل العرب في سائر اقطارهم فالغزاة الصهاينة يجعلون اليوم من أرض فلسطين المحتلة خزانا يريدون ، ان تتدفق منه افواج العدوان الاجرامي لتحطم وتدمر وتهدم كل اركان الحياة في وطننا العربي .

يا اخي العربي : ان عدونا يريـد لنفسه الحياة وهو يعمل بعنف لحفـظ بقائه ووجوده ولن يكون له حياة او وجود الا على اشلاء حياتنا ولهذا يعمل اعداؤنا . يجهزون ويستعدون فلنواجه بعزم هذه المعركة فنحن اقوى مــــن عدائنا مهما حشدوا وجندوا .

لكننا نحتاج الى الادراك ان الزمـــن كلما امتد زاد من ضراوة المعركة وعنفها وتكاليفها ولنفهم بوضوح ان هذه المعركه معركة مصيرنا العربي ووجودنا العربي كله وعلى هذا المستوى يجب ان نمضي في كل خطوة من خطواتنا .

● محمد عبداللـه شراره ـ عين الحلوة

أما ان لك ان تفك اسرها ، أما ان لك ان تحطم قيـــودك أما أن لك أن تنطلق مفكرا ومناضلا وقائدا جبارا في سبيل وطنك ؟

يا اخي لقد ملتك الخيمة وتاقـــت اليك الروابي والوهاد، السفوح والنجاد. المدينة والقرية وكل حبة من تــراب الوطن باتت مشوقة اليك فهلم أخي ، خذ مكانك الى جانب اخوانك فـــي معركتك : درعنا الايمان بالله وسلاحنا اقوى السلاح . اننا يا اخي غدا سنوحد كلمة شعبنا لنحرر وطننا ونثأر مـــن اعدائنا .

● سليمان ابو خـــلدون ـ بيروت كتب يقول :

يا هذا ... يا أنت
اقدم لا تهاب
وصاياي ماتت
آمالي خنقت
لا تنتظر ... لا تلتفت
رباب ... والتراب
الليمون والزيتون
انا ... والامال
للرمي .. للتراب
لا .. انتظر .. التفت
أسمع نشيد شباب
يلعلع كطقات رصاص
حطم القمقم والانحباس

دُس الموت والعذاب
ومضى ركبه لا يهاب

● اسعد عباس ـ الرشيدية ـ صور

وتمر الايام ...
ونفسي تضيق بآلامها ..

هموم لا تنتهي ترافق عقـــارب ساعتي ، وشقاء جامح يعصف بكياني الضعيف حتى اذا سرت . تنساب مع وقع أقدامي الحان حزينة لاصداء غدر وتراجيع خيانة تركتني حطام انسان ..

واحاول ان اتخلص من الكابوس . المزعج الرهيب . فأتردد الى الاماكن التي يقصدها « الزوار » ، لاروح عن نفسي . حتى اذا امتزجت بازدحـــام القادمين ونسيت بعض همومي السرطانية. قرعت أذني همسات الغرباء المقيتة :

لاجئ ...
هارب ...
بلا وطن ...

ويعاودني الالم ، وانطوي على ذاتي. وانتحي زاوية أرقب نظراتهم .وتأملاتهم حتى اذا لاحت لعيني ابتسامة ساخرة على ثغر فتاة شقراء ، ضحكت مـــن اعماقي ورددت :

هه ... « يا لسخافة الايام » .

● مصطفى محمـــد فتير ـ بيروت

انهض يا أخي انت غافل ليـــه
الحق يعلو ولا يعلى عليـــه
ان كنت مؤمن بالله ، اصغي اليه
ان وعده حق، ونصر المؤمنين حقا عليه

(لا يا بورقيبة ، ؟)

ادلى الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة بتصريح قال فيه انــه يجب على الدول العربية الاعتراف باسرائيل ويجب على ممثلـــي الشعب الفلسطيني التفاوض مع المسؤولين في اسرائيل في بلـد محايد وانهاء مشكلة فلسطين، وقال أيضا ان تكديس السلاح في الشرق الاوسط لا يجدى ، وقال ايضا ان اي هجوم تقوم به الدول العربية على اسرائيـــل مصيره الفشل ...

نحن ابناء فلسطين في بقاع الارض نرد على الرئيس التونسي بورقيبة ونقول له لا والف لا ان كفاحنا لن يتوقف عند تحريـر فلسطين بل سنستمر في الكفاح حتى يتحرر الوطن العربي من المحيط الى الخليج ، نحن ابناء فلسطين عاهدنا الله وصممنا على ان نخوض المعركة لاسترداد الفردوس المسلوب واننا سنطهر الارض التي قامت عليها دويلة العصابات والمرتزقة واننا صممنا وتأهبنا لتدمير كل من يقــف بطريقنا وسحقه في اقدامنا ..

بيروت في ٢٤-٤-١٩٦٥

يوسف عثمان قبطان
من ابناء فلسطين

لا تكفر قول الحق واقرأه ،وامتثل اليه
من يثابر على كفره ، يقع اللوم عليه
استقم كما أمرك الله ، وتوكل عليه
ولا تعرض عما حرض المؤمنين عليه
قاتل في سبيل الحق، من اعتدى عليه
و طرد من استغل وطنك وبغى عليه
يوجد عندنا عتاد يكفي للقضاء عليه
قبل أن يبغي على اوطان حواليـــه
لا أمان لمن يكفر بقول الله انيـــه
ولماذا بعد كفره بالحق تصبر عليـــه
من يهرب منهم يبوء بغضب الله عليه
ليس له في الاخرة الا النار مأوى اليه
كلنا أموات وراجعين حتما اليـــه
وباب الجنة مفتوح لكل من يسعى اليه

● ابو هيثم ـ بيروت

سأذهب وحدي لاتبين نور الحريـــة ولا حمل المشعل لانير الطريق لابنـــاء شعبي . سأصعد الجبال العالية لابيـن الطريق للتائهين هناك عن أرض وطني: وهناك سأرقص على جثث الطغاة . واخمد النار التي تحرق بلادي من ظلم الصهاينة .

سأدمر قصورهم ، واحطم ابراجهم ، لقد كانوا سابقا يسكنون الدهاليـــز كالكلاب المفترسة . والكلاب اليـــوم اصبحت بلابل مغردة . لا لن أرضـــى بهذا .

لن أرضى ، ولن اهدأ طالما هنــــاك عصابات طاغية على ارض بلادي .

انا لن أرضى ان تكون بلادي مسرحا للطغاة .

واني اقسم بمبدئي، بعقيدتي وبعروبتي اقسم بقوميتي ان اذهب اليهم وانتقم لشعبي .

وذهب . ولذة الشهادة في نفسه . وقابلهم كالمارد الاسمر وفتح نيران رشاشه عليهم ولم يحسب لهم اي حساب وانتقم . وانظم الشهيد الى موكب الشهداء . وخيم الظلام على كل خيمة ، ولكن الى متى سيبقى هذا الظلام .

● شهلا نزال ـ صيداء

شدي يديك على الزناد وثبتيها يا ابية
وتعلمي ربط الضماد فربما كنت الضحية
وتعدمي ركب الشباب لحل مكرمة سنية
شدي زناد الفكر وامضي اشعلي الهمم القوية
نارا تتحرق كل باغي، كل رجس او دنيه
نارا تبيد النائمين الساكنين على البليه
القابعين ودأبهم عيش ونقمته طريـــه
شدي زناد الفكر وامضي في اباء في حميه
ودعي السفاسف التوافه واصعدي القمم العليه
وتسلحي بالعلم نورا ، بالمبادىء العربيه
بالخلق بالايمان نورا في لياليك الدجيه
ذكي القيود احيتى لتبدي ذاك السكون
ولتطلقي صوتا حبيسا في ضمائرنا دفين
قد جلجل الثأر ـ الاكيد فلبس يخبوا ويلين
فتقدمي نحو الحدود أبية تهوى المنـــون
انشودتي نغم البنادق تأثرات لن تهون
هبت تنادي أمتي لن تستكين ولن تلين
فالموت موت للنيام القابعين مقيديـــن
اليوم يولد فجرنا اليوم قومي يبعثون

فلسطين
ملحق المحرّر
صاحبها هشام ابو ظهر
رئيس تحريرها غسان كنفاني
مديرها المسؤول فيصل السماك
المشرف الفني نبيل ابو حمد
تصدرها : المؤسسة الصحفية للنشر والانتاج
العنوان : بيروت بناية اللعازارية 3 - A
ص.ب ٥٣٦٦ - هاتف ٢٥٣٧٠٠ - ٢٥٨٢٦١ - ٢٣٥٩٥٢
طبعت على اوفست مطابع منظورة

منظمة التحرير بعد عام ...

اين ؟ ... ولماذا ؟ ... وكيف ؟

فلسطين تطرح السؤال على القوى الثورية

في ٢٨ ايار الحالي سيعقد في غزة ، حسب الموعد الرسمي المعلن ، المؤتمر الفلسطيني الوطني الثاني .

بين المؤتمر الاول الذي انعقد في القدس خلال ايار الماضي والمؤتمر الثاني الذي سيعقد في اواخر ايار الحالي عاشت منظمة التحرير الفلسطينية عاما مزدحما بالاحداث ، وارست ، الى حد بعيد ، قواعد انطلاقها ومنحت نفسها اللمسات الاساسية في ملامحها التي سيغدو من غير السهل التخلص منها .

ما هي الملامح التي اكتسبتها منظمة التحرير الفلسطينية في عام ؟ ما هي حصيلة تجربتها على ضوء المقاييس الثورية التي لا يمكن قياس اعمال المنظمة الا بها ؟ ما هي الحدود التي تستطيع المنظمة التحرك ضمنها ؟ ما هي مصاعبها ؟ ما هي الاحتمالات المستقبل المطروحة امامها ؟ ما هي الوسائل التي بواسطتها يمكن ان تضحي منظمة التحرير الاداة الثورية الحقيقية ، الواحدة والصلبة والفاعلة ، في معركة المصير العربي ؟

هذه الاسئلة تطرحها « فلسطين » على القوى والمنظمات الثورية جميعـا ليصير بالمستطاع استخراج التقييم المفيد من تجربة المنظمة والاسس الجادة لارساء قواعد العمل لمستقبل حركة التحريـــر الفلسطينية .

وبدءا من العدد القادم ستبدأ فـــي « فلسطين » في نشر آراء هذه العناصر الثورية ووضع صورة مسؤولة لاجوبة تلك الاسئلة المعقدة .

ولكن قبل البدء في نشر الاجوبة ترى « فلسطين » انه مـــن الضروري وضع صورة اولية لتجربة المنظمة في عام كي يتحرر الاطار الذي سيجـــري ضمنـــه الاستفتاء ، وسنسجل ملامح هذه الصورة في نقاط .

عضوية منظمة التحرير

● نصت المادة الرابعة في النظـــام الاساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية كما سجلها الميثاق فـــي البـاب الاول : « الفلسطينيون جميعا اعضاء طبيعيون في منظمة التحرير الفلسطينية يؤدون واجبهم في تحرير وطنهم قدر طاقاتهم وكفاءاتهم ، والشعب الفلسطيني هـــو القاعدة الكبرى لهذه المنظمة »

ان هذه المادة في النظام الاساســـي للميثاق الفلسطيني عائمة ولا تعنـــي شيئا ، وقد كان انعدام التحرير فـــي هذه المادة واحدا من الاسباب التي عكست نفسها حقيقة الوضع التنظيمي كله في المنظمة وادى الى ما يشبه القناعة ، في اوساط المنظمة ذاتها وبعض الاوســـاط الفلسطينية بان دور المنظمة في الحقيقة هو دور ابوي ليس غير . «الفلسطينيون جميعا اعضاء طبيعيون » في المنظمـــة اصطلاح لا يعني شيئا ، وخاصة عـــلى صعيد التنظيم والعضوية ، والمطلوب من هذه المادة ان تكون محددة وواضحـــة وذات مدلول عملي ومقاييس لتصبـــح العضوية قضية مسؤوليات مباشرة وعمل وليست مجرد انتساب عشائري .

ان الاقتراح الاولي بهذا الشأن هـــو التالي : « للفلسطينيين جميعا الحـــق الطبيعي في عضوية منظمة التحرير ، ويعتبر عضوا عاملا كل فلسطيني يدخل في اطار التنظيم العملي ويقوم بـــاداء واجباته المتأتية عـــن ذلـــك الانتســـاب التنظيمي »

ان مثل هذه المادة تطرح ، فورا ، مسؤوليات المنظمة من حيث ايجـــاد الاطـــارات الثورية وتأسيس القاعدة المادية ، وليس المعنوية فقط ، للنضال الفلسطيني .

وهذه المادة ، في صيغتها الجديدة ، تلزم المنظمة بالعمل على خلق التنظيـم الشعبي الحقيقي وبناء المنظمة بناء ثوريا قادرا على الحركة على كافة الاصعدة .

اللجنة التنفيذية

● تقول المادة ١٣ في الباب الثالث من النظام الاساسي للمنظمة : « ينتخب المجلس الوطني من بين اعضائه رئيس اللجنة التنفيذية ويتولى الرئيس إختيار اعضائها »

ان الوضع الاصح ، المتناسب مـــع المتطلبات الثورية للمنظمة ، يستلـزم ان يقوم المجلس الوطني بانتخاب اعضاء اللجنة التنفيذية انتخابا مباشرا ، خاصة وان هذه اللجنة ، كما تقول المادة ١٥ فـــي نفس الباب ، « مسؤولة امـــام (المجلس الوطني) مسؤولية تضامنيـــة وفردية » وانها ـ كما تقول المادة ١٦ ـ «تتولى ... تمثيل الشعب الفلسطيني».

المجلس الوطني

● تقول المادة ٧ من الباب الثاني ان « المجلس الوطني هو السلطة العليـــا لمنظمة التحرير وهو الذي يضع سياسة المنظمة ومخططاتها وبرامجها » وتقـــول المادة ٨ : « مدة المجلس ثلاث سنوات وينعقد دوريا بدعوة من رئيسه مرة كل سنة في شهر ايار من كل سنة او في دورات غير عادية بدعوة من رئيسه بناء على طلب من اللجنة التنفيذية او مـــن ربع عدد اعضاء المجلس » .

ان كون المجلس الوطني هو واضع سياسة المنظمة وينعقد مرة كل سنة يجعل من قدرته على تنفيذ هذين الامرين قضية غير عملية لاسباب عديدة :

اولا : ان موضوع عضوية المجلس الوطني ما يزال موضوعا غامضا ، وقد ادى توسيعه المفاجىء في ايار الماضي الى عرقلة قدرته العملية .

ثانيا : ان ما نصت عليه المادة الخامسة مـــن النظام الاساسي مـــن ان اعضاء المجلس الوطني ينتخبون « عن طريق الاقتراع المباشر من قبل الشعـــب الفلسطيني بموجب نظام تضعه اللجنة التنفيذية لهذه الغاية » هو امر ، كما اثبتت الاحداث ، صعب التنفيذ، ولذلك احتاطت المادة السادسة لهذا الامر فاعتبرت ان المجلس الراهـــن سيستمر فـــي حال تعذر اجـــراء الانتخابات .

ان الصيغتين هاتين غير عمليتين : فالانتخابات متعذرة لاسباب عديدة ، واستمرار المجلس بشكله المتناقض وغير المـــحدد (والمزدحم) غـــير منطقي ايضا ، ومن الممكن العثور على صيغة ثالثة بينهما ، ممكنة ومعقولة، وهي تحديد دور الاتحادات والنقابات والمؤسسات والقوى في جسم المجلس الوطني تحديدا عدديا واضحا عـــلى اعتبار ان هذه المؤسسات جميعا تمثـــل نتاجا قياديا بطريقة ديمقراطيـــة تنظيمية لتكتلات مختلفة هي ، فـــي نهاية المطاف ، جزء كبير من طاقـــة الجماهير الفلسطينية .

ثالثا : ان قدرة المجلس الوطني بصيغته المائعة على رسم سياسة المنظمة هي قدرة غير حقيقية ، لا تضاهيها فـــي العجز الا قدرة المجلس الوطني عـــلى الرقابة ، ولذلك فان مجلسا مصغرا له صيغة تشكيل عملية وقدرة واقعية على الانعقاد لممارسة دور الرقيـــب والمخطط في آن واحد .

التنظيم العسكري

تقول المادة ٢٢ من الباب الرابع : « تشكل وحدات فلسطينية خاصة وفـق الحاجات العسكرية والخطة التي تقررها القيادة العربية الموحدة .. »

ان الوضع الفلسطيني المعقد،والمعروف، يجعل مثل هذه المادة في نطاق التنظيم العسكري مادة شكلية ، ان المطلوب على صعيد التعبئة العسكرية هو تحويـــل الجماهير الفلسطينية ليس الا «كتائب» والى « جيش صغير محترف » ولكن الى قوة قادرة على التحول في اللحظة المناسبة الى قوة ضاربة ، فدائية وطليعية للجيش العربي الذي سيكون من قدره ان يخوض معركة التحرير .

وهذه المهمة تقتضي تجنب شكليات الصيغ العسكرية التقليدية ذات الاطارات البيروقراطية وكافة المظاهر الصاخبـــة والاحتفالية المحيط بها للوصول الى بناء القاعدة الجماهيرية للكفاح المسلح .

.. ونقاط اخرى

على هامش هذه النقاط الاساسية ، والتي منها يمكن الانطلاق الى تجاوز كافة الاشكالات التي واجهت منظمة التحرير خلال العام الماضي والتي طبعت اعمالها، والتي منها ايضا يمكن التوصل الى صيغة للمستقبل اكثر قدرة على القيام بمهمات حركة تحرير حقيقية ، عـــلى هامش ذلك توجد سلسلة اخرى مـــن النقاط يتوجب ان تبحث بوضوح وان يتوصل بشأنها الى تحديدات حاسمة .

في طليعة هذه النقاط وربما اهمها على الاطلاق هي قضية توحيد اداة التحرير الفلسطينية ، والقضاء على التعدد في نطاق الوصول بالمنظمة الى مستوى من الثورية جدير بامتصاص ذلك التعدد لانه يشكل خطوة اكثر فعالية وتقدما .

وبعد هذه النقطة يأتي موضـــوع الخوض في تفاصيل التنظيم الشعبـــي ، وما ينبثق عن شكل ذلك التنظيم مـــن انعكاسات على صعيد كافة المؤسسات المنبثقة عن المنظمة .

وتظل نقاط اخرى : علاقة المنظمـــة بمنطق مؤتمر الذروة واعداداتها للاحتمالات المستقبل . تصور المنظمة لقضية الكفاح المسلح وللدور الدعاوي في الخارج ، المهمة الثقافية والتربوية التي يجب على المنظمة ان تتولاها ..

وبدءا من « فلسطين » القادم ستستعرض العناصر الثورية ، افرادا وقوى ، اجوبتها على كافة هذه الاشكالات .

سيراليون :

استرجاع فلسطين يتم عن طريق الوحدة

اسمح لـي يـــا حضرة الرئيس ان اختصر حديثي . استطيع ان استنتج، من كلمات المنظمات المختلفة التي القيت في الايام الاخيرة ، انه يوجد اجماع على ضرورة عـــودة الفلسطينيين الى وطنهم . ومن اجل هذه القضية النبيلة، يقسم اتحادي عـــلى تأييد ومساندة اخوانـــا الفلسطينيين بكـــل وسيلة ممكنة .

ان قضيـــة فلسطـــين لا تخص الفلسطينيين وحدهم، ولا العالم العربي وحده ، انها قضية كـــل المناصرين للحق ، والعدالة ، ومبـــادىء حقوق الانسان . اليوم ، نرى في فلسطين وطنا مغتصبا وشعبا منهوبـــا ، نرى شعبا وقد حرم من وســـائل العيش ليتعرض لشتى اشكال العذاب المـــادي والنفسي . ايهـــا الاخوة ، من منا يرضيه ان يغض النظر عن وطنــــه عرضـــة للنهب والخراب.؟ ان قضية فلسطين واضحة تماما .   وما من تسوية عادلة وكاملة يمكن الاخذ بها ما لم تعترف بحقوق عرب فلسطين . ولا بد للاجئين الفلسطينيين ان يعودوا الى ارضهم .

ان اراضـــي عرب فلسطين قـــد اغتصب وشرد اهلها بفضل الاستعمار .

حضرة الرئيس ، لا استطيــــع ان اضيف الى الكلمـــات الجريئة التي اعلنها ابن افريقيا الرئيس جمال عبد الناصر : « لا يمكن ان يقوم سلام بلا عدل ، ان القبول بالامر الواقع دون عدل يعني القبول بالرضوخ . وهـــذا ابعد ما يكون عن السلام . »

واجب كل شعب محب للسلام ان يساند شعب فلسطين في نضاله لاستعادة وطنـــه .

ان قرارات الامم المتحدة عام ١٩٤٨ قد نصت على السماح بعودة اللاجئين الراغبين في ذلك وتعويض الباقين عن املاكهم وفق مبادىء القوانين الدولية . لقد رفضت الحكومـــات الاستعمارية تطبيق ذلك وهي التي تعمـــل لابقاء العالم كله خاضعا لها ، وبالعكس لقد ساهموا في نهب وتشريد عرب فلسطين. لسنوات عديدة ، استغلت قـــوى الاستعمار التجزئة في افريقيا والعالم العربي . ولحسن الحـــظ ان ارادة التغيير غرست الافكار الثوريـــة في اذهـــان الوطنيـــين . لقد تقهقرت امبراطورية بريطانيا التي لم تكن تغيب عنها الشمس ، واعلام الاستقلال ترتفع واحدا بعد الاخر .

اذا كـــان المستعمرون يزعمون انهم خدعوا منذ سبعة عشر عاما ، فنحـــن واثقون ان ذلك يكفي ليصحوا الخطأ الذي أقاموه .

سيدي الرئيس ، اسمح لي بطلب خاص الى هـــذا المؤتمر ، وخاصــة اصدقاءنا العرب . ان الحـــل الاول لقضية فلسطين هو الوحدة العربية . لقد وصل المناضلون العرب يومـــا الى اوروبا واعمال افريقيـــا والسودان . انني اناشدكم احياء امجاد اجدادكـــم الذين اجتاحوا اوروبا وحوض المتوسط والمغرب. ان قضية اللاجئين الفلسطينيين هي قضيتنا بقدر ما هي قضية العرب. اننا نساند شعب فلسطين لاننا نؤيـــد الحق . واننا نعتقد ان كـــل الدول المحبة للحق ستؤيد هذه القضية .

اخواني ، لا يمكن كسب الحرية الا بنضال عنيف ضد قوى الامبرياليـــة والاستعمار . اننا نهب أنفسنا لقضية عرب فلسطـــين ، ونسالهم المضي في نضالهم واثقين ان الشعوب المحبـــة للسلام تقف وراءهم . ولا يحزننا اي حل ما دام يضمن عودة عرب فلسطين لوطنهم .

اخواني ، نظرا للاوضـــاع التعيسة للاجئين العرب ولرفض اسرائيل الدائم السماح بعودتهم رغـــم قرارات الامم المتحدة ومؤتمرات باندونغ ، وبلغراد، والتضامن الاسيوي الافريقي ، ونظرا لتهديد الســـلام الدائم في الشرق الاوسط والاستغلال غير الشرعي لمياه نهر الاردن ، نناشد كل الشبيبة في العالم وكل المناصرين للعدالة ان يهبوا لمساعدة اخواننا ابناء فلسطين .

اللاجئون الفلسطينيـــــون يجب ان يعودوا لوطنهم ، قوى الامبرياليـــة والاستعمار الجديد وكافــة اشكال الاستعمـــاري السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية يجب ان تسحق. لقـــد انتظر شعب فلسطين طويلا ، ويجب ان يعود لوطنه .

لكن ايها الاخوة ، على الفلسطينيين ان يعرفوا اصدقاءهم من اعداءهم ومن اجل الحل ، الصداقة وحدها لا تكفي ، العرب يحتاجـــون الصداقـــة المقترنة بالعمل لا الجمود . وهذا هـــو وقت العمل .

اخواني ، اسمحوا لـــي ان اناشد الدول العربية الوحدة ، فهذا هـــو وقت الوحدة والعمل . انني ادعـــو لوحدة بعيدة عن المطامع الشخصية وعن الاعيب عملاء الاستعمار والامبريالية . مرة اخرى ، اؤكـــد لكم مساندة اتحادي لكم ودعمه الكامل .

واخيرا ، لقد استمعنـــا للخطباء القديرين ولادانـــة الظلـــم اللاحق بالفلسطينيـــين . ونطلب منكم الان المساهمة في تقديم الحل ... ولا بد ان تختار دولة عربية موحدة بين السلام والحرب . لكن ، كما ذكر زميلي مندوب غانا الخطوة الاولى يجب ان تأتي من العرب متحدين . وانني على ثقـــة ان كـــل الشعوب المحبـــة للســـلام ستساندكم .

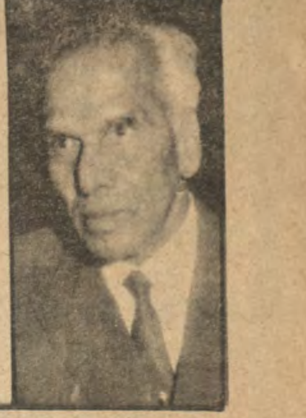

كريشنا مينون يتحدث عن فلسطين في ندوة فلسطين

اصدقائي العرب ، اعضاء ندوة فلسطين العالمية ، لقد جئت الى هنا لاستزيد معرفة اكثر مما أتكلم . ليس لدي مقترحات لحل قضية فلسطين ، ان فلسطين قد أصبحت قضية عالمية ، وحلها من مسؤولية اصحاب الضمير العرب ، لا لغرض سياسي أو عسكري ،

لقد كنا دائما بجانبكم ، اصدقائي وانما لكون الحق بجانبكم ، لم نساندكم من أجل البترول مثلا ، فنحن في الهند اما ان نشتريه أو نستغني عنه .

حقيقة واحدة لا بد من تسجيلها . لو لم يكن هناك امبراطورية استعمارية تعمل لتأسيس قاعدة استعمارية لها ، لو لم يكن هناك وعد بلفور ، ولو كانت الدول الافريقية في وضع أفضل يمكنها ، كما تستطيع الان ،من النضال، لما برزت مشكلة فلسطين من الإساس . حقا ، ان بريطانيا هي المسؤولة عن خلق اسرائيل ، وبروز مشكلة فلسطين ، وطرد الشعب الفلسطيني من دياره .

لقد قيل سابقا ان بريطانيا امبراطورية لا تغرب عنها الشمس ... قال لي صديق هندي ان ذلك صحيح لان الله لا يأمن لهم في الظلام . ان بريطانيا هي المسؤولة الاولى عن مشكلة فلسطين لا لانها كانت الدولة المنتدبة فحسب ، وانما لسماحها بهجرة اليهود من انحاء العالم الى أرض فلسطين العربية ، وتسهيلها لاسكانهم وطرد الشعب الفلسطيني من وطنه .

أين هي قرارات الامم المتحدة ؟ ان اسرائيل لا تحترم الامم المتحدة . ان اسرائيل لا تحترم الامم المتحدة بالنسبة لقرارات التقسيم ولا بالنسبة للاجئين ، ولا الحقوق العادلة ولا تحترم المثل . لا جدال بيننا حول ضرورة التخلص من هذه « الخطيئة » .

ان التمييز العنصري يتجلى بأبشع صوره في اسرائيل ، حيث معسكرات الاعتقال الضخمة والانظمة البالية .

ولقد اتضحت نهاية اسرائيل في حرب السويس . تصورت بريطانيا ان بامكانها استعادة امبراطوريتها الغابرة ، ولكنكم ، اصدقائي العرب في الجمهورية العربية المتحدة وقفتم موقفا رائعا ضد الاستعمار ، بقيادة زعيمكم جمال عبد الناصر ، ولقد ضربتم أروع المثل للشعوب المناضلة من اجل الحياة والسعادة .

انها مسؤوليتكم ، يا شعب فلسطين ، ان تقتدوا بهذا الرجل العظيم ، ابن هذه الامة الخالدة . لا بد من مقاومة الظلم دائما وبشراسة . ولطالما بقيت أرضنا وحقولنا ومزارعنا لن نسمح بحال من الاحوال لعلم اجنبي ان يرتفع فوقها .

اصدقائي ، الحرية لا تمنح ، انها تؤخذ . ليست الحرية وثيقة تمنحنا اياها القوى العظمى . انها تكتسب بالحق والسلاح .

اصدقائي العرب ، ان الضمير العالمي معكم . هناك رجال ناضلوا ضد حكومتهم في فرنسا من اجل قضية الحرية في الجزائر . هناك انكليز احتجوا ضد حكومتهم بسبب حرب السويس . وفي اسرائيل ، ايضا ، شعب مضطهد ، لا يشجع قيام هذه الدولة ، وقد خدع في حياته .

لا يكفي ، أيها الاخوة ، ان ينتمي المرء لما تسميه أميركا بالعالم الحر حتى يصبح حرا . ففي هذا العالم الحر الذي تقوده الولايات المتحدة توجد البرتغال وجنوب افريقيا ، ومئات من البشر يقتلون في الفيتنام على أيدي أميركا الحرة !

اصدقائي العرب ، لا تزول الامبراطوريات بسهولة ، وان اسلوب الدخول من الباب الخلفي يطبق في الكونغو ، ان خطأ الشعب الكونغولي ان بلدهم غنية بالمواد الطبيعية، والاستعمار طبعا يريد ابتلاع الكونغو وخيراتها .

ايها الاصدقاء ، ينص ميثاق الأمم المتحدة ان الانسان يخلق حرا في كل جزء من العالم وله كل فرص الحرية والكرامة . لكن اين هي الكرامة التي يتمتع بها شعب طرد من بلده ليحل محله شعب من حثالة الجنس البشري؟

ان الرأي العام العالمي له اهمية عظمى . ولست اعني بذلك الصحافة العالمية ، وانما الرأي العام الشعبي الذي هب يوم العدوان عليكم عام ١٩٥٦ . لم نقبل شيئا يمس كرامة مصر . وقفنا بجانبكم لاننا نساند قضية الحرية في كل مكان .

يقولون انكم تنتهكون حرية المرور في قناة السويس ، وكيف تمنعون السفن الاسرائيلية من المرور في القناة؟ ونحن نقول ان قناة السويس قناة مصرية في ارض مصر ، وبما ان مصر واسرائيل في حالة حرب ، فنحن لا نستطيع أن نقر مرور السفن الاسرائيلية في القناة بحجة حرية الملاحة لان ذلك مناقض لكل منطق .

اصدقائي العرب ، انني أؤمن بكم وبالوحدة العربية . لقد أوجدتم الجامعة العربية ، وبلدي سيكون اول من يعترف بالدولة العربية الموحدة . لديكم سوق عربية مشتركة وقيادة مشتركة . أطلب منكم فقط ان تغيروا اسم السوق العربية المشتركة لان ذلك يذكرني بسوقهم .

اصدقائي العرب ، ان الشكل والمحتوى السياسي للدعوة العربية قد تغير منذ أيام نكبة فلسطين ، لقد تفجرت ثورات عديدة في عدة دول عربية وبرزت قيادات ثورية . انكم تصنعون الان السلاح ، وهذا سيسمح لكم برفع صوت فلسطين واستعادة الحق .

يقال ان الحق قوة عظمى ، وأقول ان صوت القوة أعلى من صوت الحق في حالات عديدة . ان القوة العربية والوحدة العربية تشكلان الحل الحقيقي للقضية الفلسطينية .

وختاما ، أطلب منكم ان لا تقولوا دائما انكم ستلقون اسرائيل الى عرض البحر ، لان ذلك يلوث البحر نفسه .

طلبة المانيا العربية يقولون رأيهم بمسألة فلسطين

السيد الرئيس ، اصدقائي الاعزاء ، حضرات المندوبين ،

يود الاتحاد الوطني لطلبة المانيا ، الذي اتكلم باسمه ، ان يشكر الاتحاد العام لطلبة فلسطين لدعوته للحضور وللفرصة التي اتيحت للتعرف على التطورات الجارية والمخططة في النضال الفلسطيني . على ضوء ما رأيت في الأيام الاخيرة ، كنا سنخسر الكثير لو اننا لم نلب دعوتكم ،

أود الحديث عن بضع نقاط اثيرت خلال محادثاتنا الاخيرة . لكنني أود التأكيد اولا ان الطلبة في بلدي ، عندما سمعوا عن صفقة الاسلحة السرية لاسرائيل من خلال الجمهورية الاتحادية ، صدموا تماما كما صدم جميع الحضور هنا . لن يفيدنا البحث في جملة الضغوطات التي قادت مستشار الحكومة الفدرالية السابق الى اقرار صفقة الاسلحة . ولعله كافيا ان اشير ان الرأي العام الالماني لم يحتمل – عندما كشفت الحقائق – استمرار شحن الاسلحة . وبالفعل الغت الحكومة الفدرالية باقي الصفقة بقرار من الحكومة ينص على عدم تزويد مناطق التوتر بالسلاح ، ولن تمنح المساعدات المالية لشراء المعدات العسكرية من مكان اخر . لقد أوقف شحن الاسلحة من المانيا الى اسرائيل ، ويأمل اتحادي، يا حضرة الرئيس ، ان تكون اوقفت للابد !..

هذا هو الوضع الراهن ما حصل في الماضي ، حتى في الماضي القريب ، قد حصل ، ونحن نأسف له . ما سيحصل بالضبط مستقبلا ، لا استطيع التنبؤ به لكنني اؤكد لكم ان تكرار مثل ذلك الخطأ المؤسف ، لا سمح الله ، من قبل الحكومة الحالية او اية حكومة قادمة ، هو عمل حتما لن يمر دون عقاب . نأمل تسجيل هذه الملاحظات لانها تعبر عن الرأي العام الالماني .

ان تأزم العلاقات العربية الالمانية قد أحزن الاتحاد الوطني للطلبة . لسنوات خلت ، كانت علاقات اتحادنا باتحاد طلبة فلسطين ودية . لقد كانت علاقة تذكرني بعلاقاتنا مع قادة الحركة الطلابية في الجزائر خلال نضالها من اجل تحررها الوطني . يدرس حاليا اكثر من ٥٠٠ فلسطيني في القسم الغربي من بلادي ، ويعمل عدد من فروع الاتحاد العام لطلبة فلسطين في جامعاتنا . ولقد كان تفاعلنا دائم من خلال الممثل الدائم للاتحاد الوطني لطلبة المانيا في القاهرة ، الزميل كريستوف بيجر ، الذي يعرفه الكثير منكم معرفة شخصية ، ولقد زار العديد من شباب المانيا هذا البلد بدعوة من كل من الاتحاد العام لطلبة فلسطين والاتحاد العام لطلبة الجمهورية العربية المتحدة،

لقد جعلتنا هذه الاتصالات اصدقاء بكل ما في الكلمة من معنى : اننا نعرف بعضنا البعض ونفهم مشاكل بعضنا ، ونثق ببعضنا ثقة نأمل ان تصمد أمام امتحان الزمن .

ما هو الدرس الذي نكسبه نحن من هذه الندوة ، يا حضرة الرئيس ؟ لقد ادركنا ان ابعاد القضية الفلسطينية تتطور بسرعة بحيث يمكن ان تنفجر ، في أية لحظة في نزاع مسلح . سيرثى لكوننا سمحنا بمثل هذه التطورات . اننا نلح على اثارة قضية فلسطين في كافة المجالس المتوترة في السياسة العالمية في هذا الوقت بالذات ، وقبل ان يفوت الاوان . ان الاتحاد على قناعة بالضرورة الملحة لذلك . طبعا لا يستطيع الاتحاد الوطني لطلبة المانيا ان يعرض عليكم حلا .

ان الحل الحاسم لمشكلة فلسطين سيأتي منكم ، أنتم العرب . لكن بعد حربين عالميتين كان للاعداء دور أساسي فيها ، وقتل خلالها اكثر من عشرين مليونا من الالمان ، يمكن ان تدركوا لماذا نتردد نحن الشباب الالماني في طرح حل يقوم على السلاح . وانني على يقين ان اصدقائي من المانيا الشرقية لديهم نفس الراي .

اسمح لي يا حضرة الرئيس ، ان اعلق على الاراء التي عبر عنها من قبل زملائي المندوبين . كلنا متحدون في طلبنا للعدالة وحق تقرير المصير . ان التصريحات العنيفة ضد الدول الغربية ، بما فيها الجزء الغربي من بلدي ، والتي رددها اكثر الزملاء الشرقيين ، ستؤثر ، لسوء الحظ ، على الموقف الفلسطيني في نظر عدد من المراقبين الاجانب .

وبما ان الاصدقاء الفلسطينيين على تمام المعرفة بالاوضاع السياسية في اجزاء اخرى من العالم ، فانني لا استطيع الا ان آسف للتأييد الذي ابدوه ازاء معالجة متحيزة احيانا لمثل هذه القضية العالمية . اعتقد انه من الافضل لقضية الفلسطينيين ، ان لا يسير النضال العربي من اجل تقرير المصير بالتحالف مع قوى سياسية معروفة في العالم بموقفها السلبي بالنسبة لتقرير المصير . انني أبدي أسفي لاضطراري ان امثل على ذلك بالعلاقة مع ألمانيا الشرقية .

دعني ، يا حضرة الرئيس ، اتوجه الى رأي المسز مانين القائل بان المانيا تهيمن عليها الصهيونية . لا ، اننا نحن ، الشعب الالماني وحكومته، الذين نخطىء ونتخبط ، ولا نستطيع ان نضع كل اللوم على النفوذ الصهيوني . في بلدي ، وأقر بذلك ، رعب منتشر بين الالمان من مجرد البحث الصريح في الظاهرة الصهيونية لئلا يقحم ذلك في موجة من اللاسامية . بالنسبة لهذا الرعب كان كل من المستر نتنج ، والمسز مانين ، والمسز أبلى على صواب تجاه بلدي .

بالطبع ، ورثت حكوماتنا بعد الحرب ، مسؤوليات ضخمة للجرائم النازية التي اقترفت باسم الشعب الالماني . لكن ربط هذه المسؤوليات بموقف المانيا الحالي حول قضية فلسطين هو موضوع خاضع للتساؤل، وهذا ما اخذنا ندركه تدريجيا . ان قيادتنا السياسية عليها ان تعتمد كثيرا على فهم وادراك اصدقائنا العرب في عملية تحررها من تلك الالتزامات . انكم على حق بالطبع ، يا اصدقائي العرب ، ان تطلبوا الاسراع في ذلك . ولن ننسى تقديركم العاطفي للمصاعب التي تواجهنا . عندما نصل الى قرار حول هذه المشكلة التي ما زالت معقدة بالنسبة لنا ، بوسعكم الاطمئنان ان قضية العرب كانت واضحة امامنا .

ان حقيقة تتضح تماما : انه كلما كان الشعب العربي متحدا سياسيا ، كلما كانت قضيته اكثر اقناعا . ان ارادتنا في العمل من اجل وحدتنا تجعلنا نؤيد قضية الوحدة العربية .

أود ان اؤكد اخيرا ان ما من مشكلة عربية تستطيع اوروبا ان تتجاهلها ، تماما كما للتركيب السياسي في اوروبا تأثير على العالم العربي . ان التعاون ضروري من اجل التطور الهادىء في كلا الرقعتين من العالم . ان العالم العربي بمساهمته، دون وعي ، في صراع القوى القائم في اوروبا ، لن يصل باكرا الى هدفه في الوحدة العربية . ان الصراع الشرقي – الغربي يشمل اوروبا مارا ببلدي . ان الجيل الشاب في المانيا يدرك ان اعادة توحيد بلده ذات معنى فقط عندما تتم بالتوفيق بين اوروبا الشرقية واوروبا الغربية عبر الستار الفولاذي .

اعزائي الطلبة العرب ، ستجدون صعوبة معنا في الحفاظ على شعورنا الاكيد مع نضالكم من اجل الوحدة اذا كنتم تلعنون على نغمة التجزئة في اوروبا انني أتوجه اليكم لتفهموا الاهمية التاريخية لاعادة توحيد بلدي ومن خلالها توحيد شرقي وغربي اوروبا من اجل السلام العالمي .

اصدقائي الفلسطينيين الاعزاء ، بعد ساعات قليلة سأكون في طريقي الى وطني . سأحمل معي انطباعا ان صداقتنا تمر في أزمة حادة . على انكم، اذا اخطىء فهم تعابيركم العديدة ذات النوايا الطيبة ، لم تفقدوا ثقتكم بالشعب الالماني . ان الاتحاد الوطني للطلبة سيبذل كل ما في وسعه ليكون أهلا لتلك الثقة .

قريبا
الحرية

قصص في اخبار يوميه من عام ١٩٤٧

بيروت – لمندوب جريدة «الدفاع» الخاص – كانت الحكومة اللبنانية قد خصصت (٥٠،٠٠٠) ليرة لبنانية لتمكين الاندية الرياضية من الاشتراك في الالعاب الاولمبية في لندن خلال العام القادم ولكن هذه الاندية فضلت التبرع بها لصندوق فلسطين كدفعة اولى . وقد تطوع معظم الرياضيين اللبنانيين للذود عن عروبتها . وابدى يهود لبنان استعدادهم للمساهمة في ابقاء فلسطين عربية وشرعوا في جمع الاكتتابات . وقد بلغت الى الان (٧٥،٠٠٠) ليرة لبنانية

نشر يوم الاثنين في ٨–١٢–١٩٤٧

نشرت صحيفة (الدفاع) التي كانت تصدر في يافا العناوين البارزة التالية بتاريخ ٨–١٢–١٩٤٧ :

* الهيئة العربية العليا تتخذ مقررات هامة . الاتصال بمختلف المدن لمعرفة الموقف في فلسطين واستئناف الابحاث يوم غد الثلاثاء ٩–١٢–٤٧ .

* اشتباك مسلح في يافا يستمر حتى الساعة الاولى من صباح اليوم الاثنين .

اطلاق النار من حي فلورنتين والبراكات الخشبية وشارع يافا – تل ابيب .

دحر اليهود وردهم على اعقابهم .

* تقسيم فلسطين ينطوي على الكوارث والمصائب . الشرق العربي سيضطرم بالنار قبل حلول الصيف ونقد موقف اميركا .

* مجلس العموم يناقش قضية فلسطين في الاسبوع المقبل. المحافظون يرقبون صدور بيان رسمي يحدد سياسة بريطانيا .

* رؤساء حكومات العراق وسوريا ومصر ولبنان وعزام باشا يبحثون جدول اعمال اللجنة السياسية للجامعة العربية .

درس الخطط النهائية لدفع الخطر عن فلسطين وتزويد المتطوعين بالاسلحة .

رؤساء العرب يؤكدون مقاومة التقسيم .

* استعداد سيدات سوريا لدفع الخطر عن فلسطين .

طالبات الجامعة الاميركية في بيروت يشاركن المرأة الفلسطينية نضالها .

* حماسة السيدات العربيات الفلسطينيات للقيام بالواجب المقدس .

انتشار مراكز الاسعاف في المدن والقرى والتبرع عن طيبة خاطر .

* الصحف البريطانية توالي تعليقا عن نتائج التقسيم . قرار هيئة الامم بتجزئة فلسطين اضعف قرار واكثره هزالا .

* تناقض الروايات حول موعد انهاء الانتداب .

جريدة « الصنداي اكسبرس » تطالب بريطانيا بالرحيل عن فلسطين .

* مهرجان كبير في مدينة الرملة تبرع فيه عامل بجميع ثروته واسمه (عبد الفتاح عبد ربه) وقيمتها (٥٠٠) جنيه فلسطيني كان قد ادخرها طيلة حياته .

امة تعرف واجبها ويغمرها هذا الشعور لن تغلب ، وستدحر الخصم .

* القاهرة – لمراسل (الدفاع) الخاص – تجتمع جماعة كبار العلماء في الساعة العاشرة قبل ظهر اليوم الاثنين بالرواق العباسي لموالاة البحث في قضية فلسطين وتنظيم التطوع والاكتتاب .

الاثنين في ٨–١٢–١٩٤٧

* نابلس – لمندوب (الدفاع) الخاص – وصلت الى المدينة منشورات بتوقيع الهاغناه . وقد ردت عليها منظمة الشباب بمنشور باللغة العبرية حذرت فيه الهاغناه من اللعب بالنار . وابانت لها ان الشباب العربي مستعد لكل احتمال . وقد ارسل المنشور الى جميع الصحف العبرية ووكالات الانباء .

الاثنين في ٨–١٢–١٩٤٧

* عمان – لمندوب (الدفاع الخاص – بالتلفون – لا تزال حركة التطوع على اوجها . وقد بلغ عدد المتطوعين نحو (٣٠٠٠) في كل من مراكز التطوع التي افتتحت مؤخرا في عمان .

الاثنين في ٨–١٢–١٩٤٧

* بئر السبع – لمندوب (الدفاع) الخاص – غادر اليهود مستعمراتهم الواقعة بجوار بئر السبع تحت حراسة البوليس البريطاني .

الاثنين في ٨–١٢–١٩٤٧

* نشرت جريدة (الدفاع) الفلسطينية ضمن برواز في صفحتها الاولى يوم الاثنين في ٨–١٢–١٩٤٧ م ما يلي : –

ضحايا العرب

	قتل	جرحى
القدس	١	–
يافا	٣	١٥
حيفا	–	٤
المجموع	٤	١٩

خسائر اليهود

	قتل	جرحى
القدس	١	١٧
يافا	١	–
حيفا	–	٤
تل ابيب	–	٢
كريتا	١	–
المجموع	٣	٢٣

* بيروت – لمندوب (الدفاع) الخاص – اصدرت المحكمة العسكرية في لبنان حكمها على خمسة من الارهابيين اليهود حاولوا الفرار من فلسطين باجتياز الحدود اللبنانية وهو يقضي بحبسهم ثلاث سنين وتغريم كل منهم (٥٠٠٠) ليرة لبنانية .

الاثنين في ٨–١٢–١٩٤٧

* اللد – لمندوب (الدفاع) الخاص – في الساعة ال١٢ من صباح امس تمكن غلام مجهول من خطف بندقية ستن من جندي بريطاني كان يمتطي احدى العربات التي تجرها الخيول ، اثناء وقوفه في شارع صلاح الدين بالقرب من مصحة العيون عندما كان يقوم بحراسة قافلة من العربات فلحق به الجندي لكن الصبي تمكن من الفرار .

الاثنين في ٨–١٢–١٩٤٧

* لندن – لمراسل (الدفاع) السياسي الخاص – قالت مجلة (تابلت) الكاثوليكية في تعليقها على قرار تقسيم فلسطين انه نجاح بارز للسياسة الروسية في الشرق الاوسط . فقد اتبعت في ذلك الجزء من العالم نهجها المعروف في استغلال الانقسام لكي تحتضن بعد ذلك الجانب الذي يتعهد لها بان يكون انفع من غيره للثورة الشيوعية . فليعلم الجميع ان الكرملين هي التي ستحصل على مر الايام ثمرات اي خلاف يشتد بين الاميركيين والبريطانيين والعرب .

الاثنين في ٨–١٢–١٩٤٧

* دمشق – لمراسل (الدفاع) الخاص – بعث السيد موسى ناحوم حاخام الطائفة اليهودية السورية ببرقية الى رئيس مجلس النواب السوري امس شكر فيها السوريين على مواقفهم المشرفة بنصرة عروبة فلسطين واستنكر قرار التقسيم واعلن ان الطائفة اليهودية تضع رجالها واموالها تحت تصرف الحكومة لنصرة عروبة فلسطين .

الاثنين في ٨–١٢–١٩٤٧

* نشرت جريدة (الدفاع) الفلسطينية يوم الاثنين في ٨–١٢–١٩٤٧ العنوان التالي :

* اشتباك بين العرب واليهود في المانيا . اصابة ٩ من اليهود وعربي واحد بجراح واعتقال ٣٣ شخصا .

* قاعدة الشرق الحربية .

قبرص قد تكون مقرا للقوات البريطانية .

* نشرت صحيفة (الدفاع) الفلسطينية التي كانت تصدر في يافا يوم الثلاثاء في ٩–١٢–١٩٤٧ ما يلي في صفحتها الاولى : –

هجوم كبير يقوم به المسلحون العرب في سلمة على مستعمرتي هاتكفا وعذرا وتوغلهم حتى حدود تل ابيب .

٢١ قتيلا و ٤٥ جريحا من اليهود و ٥ ضحايا و٢١ مصابا عربيا في معارك حامية في سلمة ويافا وحيفا والقدس ، ومهاجمة قوافل يهودية .

اشتباكات عنيفة على طول ١٠ كيلومترات تستمر سبع ساعات في حيفا ومنع التجول بالمناطق .

مقتل قائد من عصابة الهاغناه قرب باب الواد .

استمرار المناوشات والحرائق .

الثلاثاء في ٩–١٢–١٩٤٧

* ٧ قتلى و٣٠ جريحا من اليهود في حي هاتكفا .

* حماسة شباب الاقطار العربية للمساهمة في انقاذ فلسطين .

تأسيس ٤ مستوصفات على الحدود السورية الفلسطينية للانتفاع بها عند الحاجة وتوزيع الملابس على المتطوعين السوريين .

* بلاغ رسمي : سحب البوليس العربي والبريطاني من مناطق يهودية تشمل تل ابيب وملبس ورمات غان وبني براك .

اسناد الاعمال الى البوليس اليهودي في تل ابيب ورمات غان وبني براك .

* عودة بعض العائلات العربية لمنطقة الحدود في المنشية .

مراكز خاصة لحرس منظمة الشباب العربي في مختلف احياء يافا .

* اليهود يتحدون القوانين والانظمة ومع هذا لم تحرك الحكومة البريطانية ساكنا !.

* استعداد شيوخ وقرى نابلس للعمل . تنظيم القوى الداخلية والتحاق الكهول بمنظمة الشباب العربي .

* ٣ برقيات من الرياض وعاليه ولندن . لقد عزمت الامة العربية وسيكتب النصر للعاملين .

* انشاء ١٠ مراكز طبية للطوارىء في القدس .

يقظة جمعية الاطباء العرب والاتحاد النسائي والكشاف العربي .

* حيفا – لمندوب (الدفاع) الخاص – اصدرت المحكمة المركزية امس قرارا بمصادرة الباخرة الاميركية (الرئيس ورفيلد) التي تولت تهريب ال٤٥٠٠ مهاجر يهودي في بداية الصيف الماضي .

الثلاثاء في ٩–١٢–١٩٤٧

* القاهرة – لمراسل (الدفاع) الخاص – اعتقل بوليس « القاهرة » شخصين صهيونيين كانا قد تمكنا من دخول البلاد خلسة ومن غير جوازي سفر ، واخذ في التحقيق معهما .

الثلاثاء في ٩–١٢–١٩٤٧

آخر احصاءات العائدين

اعدت وزارة الانشاء والتعمير الاردنية احصاء رسميا تضمن عدد العائدين الفلسطينيين في الاردن . وقد جاءت فيه المعلومات التالية :

١ – العائدون الذين يستلمون اعاشة في الاردن ٤٣١،٩٩٨ عائدا .

٢ – العائدون الذين يستلمون نصف اعاشة (الخطوط الامامية) ١٥،٦٥٢ عائدا .

٣ – العائدون الذين يقيمون في المخيمات الرسمية ١٣٧،٧٢١ عائدا .

٤ العائدون الذين يقيمون في المخيمات ومحرومون من الاعاشة ٨،٤٤٢ عائدا .

٥ – الاطفال المحرومون من الاعاشة والذين ولدوا سنة ١٩٥٢ بلغ عددهم ١٧٥،١٩٢ طفلا .

٦ – عدد معلمي ومعلمات مدارس الوكالة ومراكز التدريب المهني ١،٩٢٥ .

٧ – عدد الطلاب العائدين في مدارس الوكالة في جميع المراحل التعليمية لعام ١٩٦٣–١٩٦٤ م يبلغ ٣٥،٢٩٦ طالبا .

٨ – عدد الطالبات العائدات في مدارس الوكالة في جميع المراحل التعليمية لعام ٦٣–٦٤ يبلغ ٢٧،٣٤٥ طالبة .

٩ – عدد مراكز الشباب الاجتماعي ١٩ وفيها ٣،١٧٥ عضوا .

١٠ – عدد المخيمات الرسمية في الاردن عشرون مخيما .

هذا وقد وضعت السلطات المختصة احصائية بعدد العائدين من ابناء فلسطين . وقد بلغ عددهم بموجبها (١،٤٥٩،٥٩٩) نسمة موزعين كما يلي .

١ – الاردن : (٦٢٧،٨٢٢).

٢ – قطاع غزة: (٢٧٤،٦٨٠)

٣ – لبنان : (١١٩،٣٠٣) .

٤ – سوريا : (١١٧،٧٩٤).

٥ – الجمهورية العربية المتحدة (١٠،٠٠٠) .

٦ – العراق : (١٠،٠٠٠) .

٧ – الاقطار العربية الاخرى والاجنبية (٢٥،٠٤٠) .

اما عدد الفلسطينيين المقيمين في الاراضي المغتصبة من فلسطين فعددهم (٢٧٥،٠٠٠) نسمة .

سقوط حيفا

**في يوم الخميس ٢٢ نيسان ١٩٤٨ ، سقطت حيفا •
في ٢٢ نيسان الماضي مر على هذه الكارثة ١٧ سنة •
كيف سقطت حيفا ؟ كيف دار القتال ؟ ما هو موقف بريطانيا ؟ هل حقا ، كما تقول الدعايات الصهيونية في الخارج ،قامت الدول العربية بتحريض اهالي حيفا على الخروج ؟
في هذا البحث الدقيق الشامل الذي كتبه الاستاذ وليد الخالدي بالانكليزية (وترجمته فلسطين) اجوبة لكل هذه الاسئلة ، تنشر لاول مرة •**

(فلسطين)

بقلم

وليد الخالدي

بدأ الهجوم الصهيوني العام على حيفا في صباح يوم الاربعاء ٢١ نيسان ١٩٤٨ وانتهى في اليوم التالي بسقوط المدينة وتشريد خمسين الف عربي •

لم يكن الهجوم ظاهرة منفصلة ولا كان ردة فعل لاي تحرشات عربية محلية، بل كان مرحلة هامة من مراحل الهجوم الصهيوني الجديد الذي ابتدأ في اول نيسان والذي كان يهدف الى تمهيد الطريق لاعلان قيام دولة اسرائيل •

قبل الاول من نيسان ، اقتصرت الاعمال الصهيونية في المدن على القنص والرمي بقنابل الهاون وزرع القنابل الموقوتة ، اما في الريف فقد اقتصرت هجماتهم على الكر والفر حيث نسفت عدة منازل ودكت قرى بكاملها فوق رؤوس قاطنيها • لم يبدأ الصهيونيون باحتلال المناطق العربية على نطاق واسع الا بعد هجومهم الجديد في اول نيسان• ولقد كان الدافع الاساسي لهجومهم هذا سياسيا ، اذ ان الوقت كان ضيقا ، لان نهاية الانتداب البريطاني قد حددت في ١٥ ايار • وقد كان من المتوقع ان تفتقر البلاد بعد هذا التاريخ الى سلطات شرعية مما يسهل تنفيذ مقترحات الوصاية • في هذه الاثناء لم يبق بين الدول الكبرى من يؤيد التقسيم سوى روسيا ، فالولايات المتحدة كانت ترمي بكامل ثقلها وراء مقترحات الوصاية وقد بدا ان هذا ما اراده العرب وحتى ما كانت تريده بريطانيا ولو بقليل من الحماس •

لم تبد هذه الامور في صالح مستقبل الدولة اليهودية • لذلك كان من الضروري ان يصبح الحق المعنوي في اقامة دولة اسرائيل كما اقرته الامم المتحدة في قرار التقسيم حقيقة واقعة وذلك خوفا من ان يفقد معناه التطبيقي •

في منتصف اذار طلب وايزمن بالحاح مقابلة ترومان • نحن لا نعلم ما دار من حوار بين الرجلين خلال المقابلة التي تردد ترومان في قبولها •

ولكن هل نكون بعيدين عن الواقع اذا اعتقدنا ان تسوية ما قد حصلت بين الرجلين تعهد بموجبها وايزمان القيام باعمال في فلسطين يكون من شأنها ان تعيد ترومان للاخذ بقرار التقسيم طالما انه لم يكن راضيا عن مقترحات الوصاية ؟

ومهما دار من احاديث خلال المقابلة التي جرت بين ترومان وويزمان ، فما من شك في ان وجهة نظر الصهيونيين كانت تقتضي خلق وضع عسكري في فلسطين ينقذ الوضع المهتريء في الامم المتحدة بشكل نهائي ويواجه العالم بالامر الواقع ، هكذا كان الوضع السياسي العام مع الهجوم الصهيوني الجديد في اول نيسان •

وبصورة ادق ، استهدف الهجوم الصهيوني تثبيت المناطق الواقعة تحت الاحتلال الصهيوني وتوسيعها وذلك بطرد السكان العرب ، هذا ما كان يرمي اليه الصهيونيون عند ابتداء عملية « نكشوت » في اول نيسان حيث استهدفت فتح طريق من الشاطيء الى الداخل تبتديء في تل ابيب وتنتهي بالقدس • وقد استوجبت هذه العملية احتلال وتدمير عدة قرى عربية انتهت في معركة القسطل في ١١ نيسان • (ان مذبحة دير ياسين التي اقترفها الارغونيون في ٩ نيسان هي قسم من صميم عملية نكشوت) •

وماكادت عملية نكشوت التي ادت الى طرد ما بين ١٠،٠٠٠ الى ١٥،٠٠٠ من القرويين العرب تنتهي حتى ابتدأت عملية « جفتا » •

وقد استهدفت هذه العملية طرد السكان العرب من منطقة الجليل الشرقية ووصل طبريا بمنطقة صفد •

دشنت عملية جفتا باحتلال طبريا في الثامن عشر من نيسان وادت الى طرد ٤٥٠٠ من السكان العرب • وما كادت هذه العملية تمتد الى القرى المجاورة حتى ازداد عدد اللاجئين ثلاثة اضعاف •

الهجوم على حيفا

كان الهجوم على حيفا ضمن المرحلة الثالثة من الهجوم الصهيوني ، مكملا لعملية جفتا اذ انه مهد الطريق لاحتلال منطقة الجليل الغربي • وبالاضافة الى ذلك ، كانت حيفا حلقة الوصل ما بين خطي المستعمرات اليهودية الشرقي الجنوبي • وكان الخط الاول يمتد عبر ازدراليون الى طبريا ومن ثم الى المطلة على الحدود اللبنانية • اما الثاني فيمتد عبر شارون الى يافا • وما كاد الصهيونيون يؤمنون اطراف خطوطهم اثناء عمليتي جفتا ونكشون حتى بدت لهم ضرورة احتلال المحور - حيفا - اذ انه بدون احتلال هذا المحور فان انتصاراتهم في الاطراف لم تكن تجدي نفعا • لقد كانت حيفا اكبر المرافيء في شرق البحر المتوسط بعد الاسكندرية، ومصبا لخطوط نفط العراق (ولربما وسيلة مهمة للمفاوضة في يد العرب) • بالاضافة لكونها محور الخطوط الحديدية وطرق المواصلات كما كانت مجاورة للمنطقة الصناعية الممتدة حول خليج عكا •

قصة حيفا بين الإدعاءات الصهيونية والمناورات البريطانية

في نظر العرب كانت حيفا قسما من صميم بلادهم ارادوا المحافظة عليها والحيلولة دون سقوطها في ايدي الصهيونيين وفي الواقع حل ما استطاعوا ان يفعلوا هو التمسك بمواقعهم الكامنة في اسفل جبل الكرمل والمهددة من القطاعات الاسرائيلية في المناطق العليا• ومع ان بعض القرى العربية كبلد الشيخ في الشرق والطيره في الجنوب كانت قريبة ، غير ان المستعمرات الصهيونية كانت تسيطر على منافذ المدينة الاستراتيجية وكان هذا يؤدي الى تعذر وصول النجدات العربية الى حيفا دون خسارة فادحة في الارواح •

اللجنة الوطنية

ما كاد قتال الشوارع يبدأ في حيفا في اعقاب قرار التقسيم عام ١٩٤٧حتى تالفت في المدينة لجنة وطنية من السكان المسيحيين والمسلمين العرب ، وترأس اللجنة السيد رشيد الحاج ابراهيم ، وبصورة عامة كانت اللجنة مسؤولة سياسيا امام الهيئة العربية العليا اما من الناحية العسكرية فقد كانت تعتمد في تموينها على اللجنة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية في دمشق •

استخدمت اللجنة الوطنية في ٢٨ اذار ١٩٤٧ الملازم الشاب محمد حمد الحنيطي الذي استقال من منصبه في الفيلق العربي ليتطوع في الدفاع عن حيفا •

عندما تسلم الحنيطي زمام الامركان حرس حيفا الوطني مؤلفا من ٧٥ نفرا مسلحين بمختلف انواع الاسلحة بدأ بالبنادق نهاية بالعصي، وعندما استشهد (خلال عودته بالامدادات من لبنان) في ١٧ اذار كان الحرس الوطني قد ازداد الى ٣٥٠ نفرا •

كان معظم افراد الحرس الوطني اعضاء في النوادي الرياضية وجنودا في القوى البريطانية سابقا ممن خدموا خلال الحرب العالمية الثانية • وكانت الاكثرية الساحقة من هؤلاء من عرب حيفا وما يقارب النصف كان يخدم في اوقات فراغه فقط • كانت صعوبة الحصول على السلاح من العوامل التي حدت من نمو هذه القوة • كان الحصول على الذخيرة لانواع البنادق المختلفة التي لم تكن تصلح الا للمتاحف من اكثر المشاكل تعقيدا كان يونس نفاع احد مفتشي الصحة في حيفا من هواة التنظيم العسكري كما كان احد اللذين ساعدوا الحنيطي بقدرة ملحوظة • وبعد وفاة الحنيطي تسلم نفاع قيادة الحرس الوطني مؤقتا • واحتفظ بتقسيمات الحنيطي للمدينة التي كان قد قسمها الى عشرة اقسام ووضع في كل قسم جماعة مسلحة برئاسة شخص واحد يتولى الاتصال بقيادة المدينة المركزية مباشرة •

وبالاضافة الى قضايا الامن تولت اللجنة الوطنية الاشراف على مختلف المصالح العربية فاصدرت نظاما للتقنين ومراقبة الاسعار وبمنع الارباح الغير المشروعة وحاكمت المخالفين في محاكم خاصة • وزيادة على ذلك تولت اللجنة جمع التبرعات المنظمة واشرفت على صرفها • وباتساع القتال وزيادة حدته انهمكت في حل بعض القضايا مثلا تطبيب الجرحى والمقعدين وتأمين المآكل والمأوى للايتام والمنكوبين • كان الاتصال ما بين اللجنة الوطنية والهيئة العربية العليا في القاهرة يجري بواسطة رسل استخدموا خصيصا لهذه الغاية او بواسطة المحادثات الهاتفية ما بين رشيد الحاج ابراهيم والحاج امين الحسيني• وكان الحوار يجري باللغة التركية خوفا من مراقبة شعبة المخابرات البريطانية وشبكات التجسس الصهيونية •

خلف الحنيطي في قيادة القوى المسلحة في حيفا النقيب امين عز الدين وهو لبناني واحد افراد حامية الحدود في شرق الاردن سابقا • وصل عز الدين الى مدينة حيفا في ٢٨ اذار يرافقه عدد من المتطوعين يتراوح بين ٣٠-٤٠ مسلحا • واستقبلت حيفا هذه النجدة بالترحاب ، غير ان هذه النجدة لم تكن لتؤثر في ميزان القوى العام • واحتفظ عز الدين بنفاع كقائد معاون •

ادعاءات الصهيونية

لسبب مجهول يحاول الصهيونيون الاتخاذ من حيفا ذريعة لخرافتهم القائلة بأن الحكومات العربية وضعت خطة لاجلاء السكان العرب عن فلسطين كخطوة اولى لهجوم الجيوش العربية النظامية •

لقد عالج الكاتب مطولا هذه الخرافة في مقالة نشرتها مجلة ميدل ايست فورم في حزيران ١٩٥٩ ، لذلك لا نرى ضرورة في اعادة هذا البحث هنا • ولكن بما ان الصهيونيين اعتمدوا حيفا لدعم وجهة نظرهم فانه يترتب علينا ان نسأل لماذا اختار الصهيونيون حيفا؟ ان حيفا لم تكن البلد الاول الذي فقد سكانه العرب ، فلقد وقعت طبريا قبله بثلاثة ايام• اين هي براهين الصهيونيين الدالة على اوامر الانسحاب من طبريا ؟ وطبريا لم تكن اول مدينة سقطت في ايدي الصهيونيين ، فعملية نكشون كانت قد سبقت سقوط طبريا ونتج من جرائها احتلال عدد كبير من القرى العربية وتدميرها وتسببت في طرد ما بين ١٠،٠٠٠ و ١٥،٠٠٠ من القرويين العرب •

اين هي الاوامر العربية بالانسحاب من هذه المناطق ؟

حيفا لم تكن ايضا اخر من سقط في ايدي الصهيونيين • عملية جفتا ابتدأت قبل سقوط حيفا ولكنها استمرت بعد هذا السقوط وانتهت باحتلال المنطقة التي تقع ما بين طبريا وصفد ، وقبل الخامس عشر من ايار طرد السكان العرب من صفد ويافا وعكا وبيسان، والاحياء العربية في القدس • هنالك مئات من القرى والمزارع التي تعرضت للمذابح (بما فيها قرية الحسينية الصغيرة في منطقة الجليل التي لاقت نفس مصير دير ياسين) •

لا تهاجروا

ولنعد الى حيفا : لقد اتى المؤلف في مقالته السابقة المذكورة اعلاه على ذكر التوجيهات التي صدرت عن جامعة الدول العربية والهيئة العربية العليا وجيش الانقاذ العربي الى شعب فلسطين لقد وجهت هذه الاوامر الى سكان حيفا كما وجهت الى سكان المناطق الاخرى في فلسطين • والحقيقة التي لا بد من قولها هي ان الهيئة العربية العليا قد اخطات في تطرفها في الاندفاع بمنع الهجرة العربية من اي نوع كانت • ان جلاء النساء والاطفال عن المناطق المهددة في حالة الحرب هو امر طبيعي في سائر البلدان خصوصا اذا كانت قوات العدو البرية قريبة من المكان • ولكن الهيئة العربية العليا لم تحبذ حتى هذا الاحتياط البسيط ، وهذا واضح في البرقية التي ارسلها الحاج امين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا الى ممثل الهيئة في بيروت في الثالث من اذار ١٩٤٨ ، ان مسودة البرقية التي وقعها بالاحرف الاولى الحاج امين نفسه تنص على ما يلي :

« هجرة الاطفال وغيرهم من فلسطين الى الشام وبيروت ضارة بالمصلحة ، راجعوا الجهات المختصة في البلدين وبلغونا » •

لنلق الان نظرة اقرب الى تصرفات اللجنة الوطنية في حيفا •

لقد اصدرت اللجنة ١٢ بلاغا منذ تاليفها حتى سقوط المدينة ان هذه البلاغات هي كل ما صدر عن اللجنة من تصريحات وهي تحتوي على كافة الاوامر والانذارات الموجهة الى عرب حيفا • وقد تمكن كاتب هذا المقال من ايجادها جميعا •

ماذا في البلاغات ؟

ان هذ البلاغات تبين بوضوح لا يقبل الجدل رأي لجنة جيفا الوطنية في مشكلة الهجرة • ذكر الياس كوسى احد اعضا اللجنة الوطنية العربية في حيفا سابقا في رسالته الثالثة الى مجلتي «الجويش اوبزرفر»و«الميدل ايسترفيو» حوالي ١٢ نيسان ١٩٤٨ حث المفتي بحضوري في القاهرة عددا من عرب حيفا والقدس على العودة الى ديارهم » • وفي منتصف شهر نيسان رافق كاتب هذا المقال الدكتور حسين الخالدي السكرتير العام للهيئة العربية العليا في فلسطين في رحلته الى مصر بعد مذبحة دير ياسين • وبحكم وظيفته كتب في ١٧ نيسان مذكرة الى جامعة الدول العربية تتضمن اراء الدكتور خالدي حول الامن في مدن فلسطين الرئيسية • وقد كان اعتقاده بأن الدفاع العربي في فلسطين يجب ان يرتكز على المدن الثلاث : القدس وحيفا ويافا • وارتأى بأن هذه المدن ستكون عرضة للهجمات الصهيونية وبأن سقوطها سوف لا يؤدي الى طرد سكانها العرب فحسب بل الى انهيار المقاومة العربية في جميع المناطق الريفية المجاورة • وقد اوصى وشدد على ضرورة ارسال قوة مؤلفة من ١٥٠٠ مقاتلا حسن التدريب الى كل من هذه المدن •

الموقف البريطاني

ومن ناحية اخرى فقد كان لموقف السلطات البريطانية ضلع اساسي في سقوط حيفا : شن الهجوم الصهيوني فور انسحاب القوات البريطانية من مراكزها في المناطق الفاصلة ما بين الاحياء اليهودية والعربية • ومع ان اليهود قد ابلغوا قرار الانسحاب رسميا قبل العرب بساعة فقط ، فهنالك دلائل تشير الى ان الصهيونيين كانوا على علم بموعد انسحاب البريطانيين قبل فترة غير وجيزة • ولذلك جمع الصهيونيون من مختلف انحاء البلاد قوة ضاربة فوق الاحياء العربية وحالما انسحب البريطانيون من مواقعهم بدأ الصهيونيون باحتلالها وشنوا منها سلسلة من الهجمات تدل على انها ركزت على افتراض عدم وجود البريطانيين وانسحابهم الى مواقع اخرى • ومما لا شك فيه ان البريطانيين كانوا على علم لدى انسحابهم بمدى التجمعات الصهيونية وحدتها وقوتها الضاربة كما انهم تمكنوا من تقدير نتائج وقعها على السكان العرب في الاحياء المنخفضة • وقد ادى عنصر المفاجأة (الذي لاغنى عنه في كل الانتصارات الحربية الصهيونية والذي كسبه الصهيونيون بهذه الوسيلة بالاضافة الى المواقع الستراتيجية التي اعطاها البريطانيون لليهود مجانا والاساليب العلمية في الحرب النفسية وحشية الهجمات ، الى سقوط حيفا بيد الصهيونيين •

من الممكن ان يكون هناك اسباب اخرى ادت الى سقوط المدينة ، كضعف العرب حربيا وعدم وجود منظمات عربية للدفاع المدني بالمعنى الصحيح ، ورحيل امين عز الدين • غير ان هذه الاسباب تعتبر ثانوية • الاسباب الحاسمة كانت تامر الصهيونيين والبريطانيين وتنسيق جهودهما •

ما هي البراهين على تامر الصهيونيين والبريطانيين؟ ان اهم برهان على وجود هذا التامر هو وقوف السلطات البريطانية المدنية والعسكرية (وعلى الاخص اللواء ه•س• ستكويل) خلال الهجوم ، وهنالك براهين اخرى تعزز هذا الاعتقاد في تصرفات البريطانيين المشبوهة في مناسبات اخرى ، كتسليمهم للهجاناه تشكيلة استراتيجية من المباني الرئيسية في قلب القدس والمعروفة «ببفنكراد» وقد حدث ذلك قبل نهاية الانتداب •

وصف هذا التسليم شاهد عيان من الصهيونيين يدعى هاري لفن في مذكراته « معارك القدس » صفحة ١٥١ : « خلال عشر دقائق من الانسحاب البريطاني وقعت بفنغراد بكاملها تحت سيطرة الهاجاناه: البناية العامة والبنك البريطاني الفلسطيني ، ومركز البوليس ، السجن المركزي ، البحة الروسية بدون اطلاق رصاصة واحدة بينما كان الجميع يحسبون بان الاصطدام سيقع هنا بين الهاجاناه من جهة والعرب من جهة اخرى• فاذا بالشوارع مهجورة •

الدوريات المشتركة بين البريطانيين والهاجاناه

يقول الكاتب هاري لفن : قال لي «ج» : وافق قائد منطقة ٥٢ على تسيير دوريات مشتركة من البريطانيين والهاجاناه لحراسة المنطقة في الليل الفائت وذلك كتدبير لرد غزوة ثارية في اخر دقيقة • (ترى هل شائعة الغزوة صحيحة) •

وعند انقضاء فترات العمل كان الجنود البريطانيون ورجال الهاجاناه ياكلون ويتسامرون وينامون سوية» •

وهنالك ايضا شهادة المقدم ر•د• ولسون المؤرخ شبه الرسمي لفرقة المظلات السادسة في فلسطين (التي كان يقودها اللواء ستوكويل) نفى ولسون بان يكون البريطانيون قد انذروا الصهيونيين والعرب ولكنه دل على ان البريطانيين كانوا على علم بتطور الاحداث في المستقبل وقد ورد في كتابه ص١٧٦ ما يلي : « وفي شهر اذار تبين بوضوح بانه من الممكن ان لا يكون العرب السابقين لبدء الهجوم من اجل السيطرة على حيفا » • وفي قسم لاحق (ص ١٩١ نص الكتاب على ما يلي : « بدأ الصراع اليهودي - العربي من اجل السيطرة على المدينة (حيفا) يزداد حدة ، وفي ١٩ نيسان تبين بوضوح بان معركة كبرى قد اوشكت على الوقوع وبان البريطانيين لقلة عددهم وبعثرة جنودهم سوف لا يتمكنون من ان يلعبوا الدور الحاسم فيها • لقد كان من المنتظر ان لا تحترم الارواح البريطانية اذا ما قام اليهود او العرب بهجوم لان الهدف سيكون هزيمة العدو والسيطرة على المدينة ، ومن اجل بلوغ هذا الهدف بغض النظر عن الفريق الذي سيشن الهجوم كانت الضرورة تقتضي السيطرة على مراكز استراتيجية كانت عندئذ بيد القوات البريطانية • لذلك كان من المنتظر ان يكون القتال عنيفا وخسارة الارواح الناجمة عنه كبيرة • ومن المفيد ان نلاحظ بان اللواء ستوكويل كتب المقدمة في هذا الكتاب • وهنالك ايضا برهان مناحيم بيجن قائد الارغون• لقد ذكر بيجن في كتابه (الثورة) ص١٦٥: "اعلن القائد البريطاني في حيفا انسحاب قواته في نهاية شهر نيسان وقد كانت الهاجناه على علم بالتاريخ المحدد فاستنفرت قواتها تحسبا للاصطدام الحاسم • وبناء على طلب قائد الهاجناه في المنطقة الشمالية اشتركت في القتال وحدات من الارغون تحت قيادة اميال وكانت لديها اوامر باحتلال بناية محصنة للعدو السيطرة على شارع هيهالوتز والهدار الرئيسي » •

ولكن من اخرج القطه من الكيس فعلا هو جون كمشي محرر جريدة « الجويش اوبزفر » الناطقة بلسان الاتحاد الصهيوني البريطاني • قال في العدد الصادر في ١٣ تشرين الثاني ١٩٥٣ ردا على رواية ادوار عطية في «لبنان الجنة» والتي ورد فيها وصفا لسقوط حيفا بقوله ، « لقد اعلنت (الشخصيات العربية التي ذكرها عطيه) بان البريطانيين اخبروا الصهيونيين ولم يخبروا العرب عن نيتهم في اخلاء القسم الرئيسي من حيفا • وكنت دائما اعتقد بان هذا الاتهام هو عذر او دعاية عربية

اقلب الصفحة

تابع سقوط حيفا

هكذا سقطت حيفا : دقيقة وراء دقيقة

ولكنني اعلم الان بان هذه الروايـــة صحيحة : انهم لم يخبروا العرب » ·

من الضروري ان نلقي نظرة قريبة على احداث اليومين الحاسمين ٢١ و ٢٢ نيسان · وقع الواحد والعشرين من نيسان في يوم الاربعاء ، وقد بدا للعرب في بدايته كأي يوم اخر:اطلق الرصاص في الصباح الباكر في مختلف انحاء المدينة ولكن لم يبد هذا العمل غير اعتيادي ، وبكل تاكيد لم يخطر على بال اي واحد من العرب في حيفا بأن هذا الصباح سيكون اخر صباح له في بلده ومنزله ·

في الساعة الحادية عشرة والنصف استدعى اللواء هـ·س ستوكويل قائد المظلات العام في فلسطين ، النقيب عز الدين قائد الحرس الوطني العربي الى مركز قيادته في طريق « شيلا ماريس » وسلمه مذكرة ·

ان افضل استيعاب ممكن لاهمية هذه المدينة : تقع حيفا على المنحدرات الشمالية المذكرة يكمن في الاشارة الى تكوين من جبل الكرمل المواجهة لخليج عكا · ويقع اكثر الاقسام ازدحاما في السكان شرقي شارع الكرمل ما بين المرفأ والهدارهاكرمل ·

وهنا تقع منطقتين يهوديتين · الاولى هي هدارهاكرمل والمناطق المرتفعة المتصلة بشارع هرتزل اما الثانية فهي المركز التجاري الذي يقع في الاسفل ما بين شارع الحليصا وطريق اللنبي · اما الاحياء العربية فكانت (ابتداء من الجهة الشرقية كما يلي : الحليصا ، وادي رشميا البرج ، المدينة القديمة ووادي النسناس · (يقع مركز المدينة القديمة ووادي النسناس في اسفل جبل الكرمل ما بين المنطقة اليهودية والمرفأ· وقد كان قسم من المدينة القديمة بالاضافة الى وادي النسناس بكاملها يقع ما بين حيين يهوديين · وكما اعلن استوكول « بقي البريطانيون محتفظين بالسيطرة على كافة انحاء المدينة حتى ساعة انسحابهم · حيث كانوا مسيطرين على الحدود الفاصلة بين المناطق اليهودية والعربية » وزيادة على ذلك فقد استعمل البريطانيون كتائب متحركة من المصفحات للقيام باعمال الداوريات على الطرق الرئيسية · ورغم كل هذا لم تقع اصابة واحدة بين القوات البريطانية خلال الشهر الذي سبق الانسحاب · لقد ذكر ولسون (صفحة ١٧٧) في وصفه للمدة التي سبقت الانسحاب : « رغم كل القتال الذي دار في حيفا لم تكن الحالة في اي وقت ما خارجة عن السيطرة · ان البريطانيين لم يفقدوا زمام المبادرة قط » · عند ابتداء الانسحاب كان لدى البريطانيين في حيفا اللواء الاول وسرية من الدبابات والمدافع الالية وسرية من الخيالة الخفيفة الثالثة وعدد من الرماة البحريين في منطقة المرفأ · (اما الحوادث العربية ضد الانجليز فقد قال فيها ويلسون« ان كل ما حدث كان نتيجة عدم تعاون بين المسؤولين العرب والمسؤولين الانجليز »

الاحتلال السهل

لقد كان وقع الانسحاب البريطاني على مركز العرب جسيما » اذ ان معرفة الصهاينة المسبقة بموعد الانسحاب البريطاني مكنتهم من احتلال النقاط الاستراتيجية التي كانت مع الانكليز سابقا على طول الحدود الفاصلة دون خسارة تذكر · وقد نتج عن ذلك تعزيز كبير للقوى الصهيونية المسيطرة على العرب الرابضين في المواقع السفلى وادى الى مواجهة العرب بنمطجديد من النيران اجبرهم على تعديلاوضاعهم تحت نيران المعركة · (ان معرفة الصهيونيين المسبقة بموعد انسحاب القوات البريطانية مكنتهم من تقرير مكان الضربة الرئيسية بسهولة ومن الاعتماد على تنسيق الهجمات من المركز التجاري وهدارها كرمل · كل هذا والعرب في حيفا منقطعون عن العالم الخارجي · والحواجز البريطانية على طريق الناصرة يافا توقف النجدات العربية من القرى المجاورة · (ازاء كل هذا لم يعد باستطاعة العرب ان يفعلوا الا القليل من الناحية التكنيكية حيث لم يعد باستطاعتهم القيام بحركة التفاف حول المركز التجاري سواء من الناحية الشمالية ام من الناحية الجنوبية بقصد القيام بهجوم معاكس ولم يعد باستطاعتهم الالتفاف حول هدارها كرمل من الغرب·هكذا فرض البريطانيون المعركة على العرب في ظروف اختارها الصهاينة ·

عنصر المفاجاة

وهكذا اجبرت اقل الشعوب في شرقي البحر المتوسط ميلا الى الحرب على خوض غمار معركة موت او حياة وعلى مواجهة عدو سفاح مستحكم في مراكز المرتفعات المنيعة ومستعد للانقضاض عليها في الاسفل ·

وكأن هذا لم يكن كافيا فقد كان البحر على بعد ثلاث مئة ياردة وراء ظهر هذا الشعب حيث ربضت بعض الوحدات البريطانية يراقب الموقف عن كثب ربما باكثر من رغبة مهنيه ، لقد كان عنصر المفاجاة حاسما والهزة النفسية التي تعرض لها العرب جازمة لقد اعتقدوا بأن البريطانيين سيبقون هناك حتى بعد انتهاء الانتداب وذلك رغبة منهم في تامين الانسحاب للقوات المرابطة انذاك في فلسطين ·

ومما يسترعي الانتباه هو الغموض الذي اكتنف مذكرة ستوكويل · فهو لم يشر ما اذا كان الانسحاب قد بدأ او انه سيبدأ ، وفي الواقع بينما كان ستوكويل يسلم المذكرة لعز الدين ويسلم شكليا مذكرة مشابهة الى قائد الهاجناه ، كانت القوات البريطانية قد انسحبت من المراكز الرئيسية ، لتسلمها الى قوات الهاجناه ·

هذه هي شهادة الياس كوسى (في رسالته الى مجلة الجويش اوبزرفر في ١٨ كانون الاول ١٩٥٣) وهي ايضا شهادة يعقوب سلمون احد اعيان اليهود في حيفا ومن الذين لعبوا دورا هاما في ذاك الوقت (الجويش اوبزرفر في ١١ ايلول ١٩٥٩) · (لم تكن كتابة ولسون عن هذا الموضوع (صفحة ١٩٢) واضحة ، فهو لم يذكر سوى ان العرب واليهود تبلغوا الخطة البريطانية صباح يوم الانسحاب (في ٢١ نيسان) · يوافق ساشر المؤرخ الصهيوني في كتابه « تاسيس دولة اسرائيل » صفحة ٢٤٢ على ان الانسحاب كان قد تم قبل تبليغ الفريقين رسميا ، ولكنه يقول بان ستوكويل كان قد اخبر عز الدين مسبقا · ولكن هذا القول لا يزال مفتقرا الى اثبات ·

عندما قرأ عز الدين المذكرة التي تسلمها من استوكول بدى عليه الانفعال واحتج بشدة على هذا العمل · وهذا مناقض تماما لما ورد على لسان كمش في كتابه «الاعمدة السبعة الساقطة»ص٢١٩ بأن عز الدين بالنيابة عن العرب كان قد رحب بمذكرة الجنرال · (لقد قرر عز الدين ان يرفع الى دمشق شخصيا بعد تسلمه المذكرة مباشرة (١٢:٣٠) وليس بعد ابتداء المعركة كما ورد على لسان عدة معلقين · لقداتهم البعض عز الدين بالجبن ، الواقع انه قد اخطأ في تقدير الامور ، انه لم يقدر حراجة الموقف ولم يستطع ان يقنع دمشق بخطورة الحالة وارسال النجدات الا بعد فوات الاوان وبعد ان استبقته الحوادث·

(ورغم كون عز الدين يفوق نفاع (معاونه في قيادة الحرس الوطني) في حقل الخبرة العسكرية غير اني اشك بان وجوده في حيفا كان قد احدث تغيرا جذريا في مجرى الاحداث ·

الغداء المشوش

في الساعة الواحدة والنصف ظهرا دعى السيد فريد سعد احد اصحاب البنوك في حيفا واحد اعضاء اللجنة العربية الوطنية الى الغداء في بيت السيد رفيق بيضون مساعد حاكم اللواء وكان بيضون قد دعى القائد العسكري البريطاني في حيفا ومفوض البوليس وحاكم المنطقة السيد باتريك وعدد من الاعيان العرب · اعتذر القائد العسكري البريطاني ومدير البوليس اما باتريك فقد لبى الدعوة · ويقول سعد (في مجلة الكلية عدد نيسان ١٩٢٩) « عند وصوله اخذني باتريك جانبا والمح بأن الجيش على وشك الانسحاب من المنطقة العربيةفي المدينة واقترح علي بان اتصل باليهود اذا كنت اريد مصلحة الاطفال والنساء العرب وذلك حقنا للدماء البريئة » · (هذا ولم يكن قد علم بعد باجتماع ستوكويل بعز الدين عندما سمع هذا القول من باتريك ·

وبينما هم في سياق الحديث بدأ اطلاق النيران بشكل غير عادي · وفي الواقع كانت هذه النيران ناتجةعن حركة تمهيدية قام بها الصهيونيون قبل ساعة الصفر التي كانت عند الغياب (ساشر صفحة ٢٤٣) ·(استهدفت هذه الحركة بناية النجدة العربية التي كانت تشرف على جسر وادي رشميا من الجنوب· وقد تمكنت القوات الصهيونية من احتلالها بعد « قتال عنيف » دار بين الطابق والاخر (ساشر صفحة ٢٤٣) · وما ان دخلتها القوات الصهيونية حتى حوصرت وامطرت بوابل مستمر من النيران العربية نتج من جرائها سقوط معظم افراد الحامية الصهيونية بين قتيل وجريح · (ساشر صفحة ٢٤٣) ان ردة الفعل الكبرى على هجوم بناية النجدة اتت من الحليصا حيث كانت بعض مرتفعاتها اعلى من بناية النجدة · (وقد تكلم فريد سعد مع الحاكم البريطاني في المنطقة هاتفيا ، وسأله عما اذا كان قد علم عن انسحاب الجيش من القسم العربي في المدينة وحسب قول سعد تظاهر الحاكم وكانه لا علم له بالقضية· عندئذ طلب الى الحاكم ان يرتب له « موعدا قريبا مع اللواء استوكويل »·

اربع كتائب

وفي ذلك الوقت بالذات كانت القوات الصهيونية تنتظر غروب الشمس وكانت القوة المشتركة بين اللهجناه والارغون تحت قيادة الكولونيل موش كارمائيل (اقتضت خطة كارمائيل ارسال ثلاث كتائب الى الحي العربي من هادارهاكرمل وارسال كتيبة اخرى لضرب مؤخرة العرب انطلاقا من المركز التجاري · كان على كتيبة الميمنة المتجهة من هدارها كرمل ان تخترق الحليصا مرورا بالحسر فوادي رشميا ومن ثم تتجه نحو منطقة المرفأ · اما كتيبة الوسط · فقد كان عليها ان تقتحم طريق البرج وكان على كتية الميسره المؤلفة من قوات الارغون (كتاب الثورة صفحة ١٦٥) ان تقتحم وادي النسناس · لقد كانت الفكرة الاساسية هي التقاء كتيبتي الوسط والميسره بالكتيبة المهاجمة من المركز التجاري على طريق ستانتون مستهدفة قطع المنطقة العربية الى اقسام ثلاثة مفصولة تمام الانفصال عن بعضها البعض· (وقبل الغروب بعدة ساعات : من الساعة الثالثة فصاعدا ،شن الصهيونيون ما وصفه كمشي (في كتابه الاعمدة السبع الساقطة صفحة ٢١٩) بالهجوم النفساني وحسب اقوال كمشي » وزعت مناشير ووجهت نداءات بواسطة مكبرات الصوت تدعو السكان العرب لانتظار اعلان هام وانذرتهم بان يبتعدوا عن المتطوعين الغرباء وبان يبقوا في بيوتهم » · وقد ورد وصف الحرب النفسية على لسان كوستلر في كتابه « الوعد والوفاء » (في الفصل المعنون دافيد وجوليات (صفحة ٢٠٧) يقول كوستلر « لم تستعمل الهاجناه محطة اذاعتها فحسب بل كانت تستعمل ايضا مكبرات الصوت القريبة من الاسواق العربية، وقد اخطرت السكان العرب بان يتجنبوا « المرتزقة من الاجانب الذين تسللوا الى المدينة وانذرتهم بان يرسلوا نساءهم واولادهم قبل ان يصل فصيل جديد من العراقيين « المتوحشين » · ووعدتهم بسلامة المرور والحراسة المسلحة الى ان يصلوا الى المناطق العربية والمحت بالنتيجة الفظيعة التي ستترتب على العرب اذا ما تجاهلوا هذه الانذارات » · وبعد عدة ساعات على هذه الشاكلة وعلى مسمع من اصوات المعركة الحامية حول بناية النجدة اصبح السكان العرب في حالة من القلق (حدث كل هذا وفريد سعد لا يزال بانتظار موعد استوكويل · وما كادت الساعة تبلغ السادسة والنصف مساء حتى فتح الصهيونيون نيران المدافع الرشاشة الثقيلة ونيران مدافع الهاون وامطروا الاحياء العربية في الاسفل بقنابلهم دون تمييز · كان هذا بينما كانت الكتائب الاربع المذكورة اعلاه تهاجم الحواجز العربية القريبة · وقد علق سعد على هذه الاحداث بقوله « ان هذا كان يختلف كثيرا عما تعودناه » · وقد قال فيها ساشر (ص ٢٤٣) احدث القصف كثيرا من الرعب وبعض الخراب» · وكما ورد على لسان كمشي ص ٢١٩ استمر هذا الاسلوب (الحرب النفسية) حتى منتصف الليل ·

وفي نفس الوقت كانت الكتائب الاربع تعاني من صعوبة التقدم : لقد كان تقدم كتيبة الميمنة « بطيئا لدرجة اليأس » (ساشر ص ٢٤٣) واوشكت مراكز الصهيونيين في بناية النجدة على الانهيار · اما كتيبتا الميسرة والوسط فقد اجبرتا على القتال من بيت الى اخر في اغلب الاحيان (ساشر ص ٢٤٣) · وقد لاقت الكتيبة المتجهة من المركز التجاري نفس المصير اذ انها اصطدمت بمقاومة عنيفة ·

في الساعة التاسعة مساء (اي بعد ساعتين ونصف الساعة من ساعة الصفر) تكلم حاكم المنطقة البريطاني مع سعد هاتفيا وقد كان سعد لا يزال في منزل بيضون ، واخبره بان استوكويل سيراه في الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي · (ربما كان من حقنا ان نتساءل لماذا اخر استوكويل المقابلة مع سعد ١٢ ساعة · في الساعة التاسعة والنصف عقد سعد اجتماعا في منزله دعى اليه الشخصيات العربية في حيفا · وكان قد وصله من نفاع نص المذكرة الحرفي التي تسلمها عز الدين من استوكويل في الصباح · ·

في ذلك الوقت كانت جماهير السكان المدنيين العزل قد بدأت تتدفق من المنازل الواقعة على خط تقدم الكتيبة الصهيونية عبر وادي النسناس ومن الاحياء المجاورة لهدارها كرمل · وقد بلغ الذعر في بعضها حدا مريعا ، فاندفعت نحو منطقة المرفأ حيث كانت القوات البريطانية لا تزال مسيطرة على الموقف · وهناك على حد ما ذكر كوسى في كتابه الى «الجويش اوبزرفر » في الثامن عشر من كانون الاول) تولى الاسطول البريطاني نقلهم الى عكا · وبالفعل ، (كما ذكر كمشي ص ٢١٩) انهارت اعصاب العرب بعد سواد الليل بقليل وارتفعت نسبة الهرب الى حد الذعر قبل ان يبتدىء القتل العام ·

في هذا الجو انعقد اجتماع الوجهاء العرب في بيت سعد « للبحث في محتويات مذكرةالجنرال ستوكويل والرد عليها » (سعد) ·

الخميس في ٢٢ نيسان

في الساعة الواحدة صباحا كان الجواب على مذكرة ستوكويل جاهزا :

(أ) اعتبر المؤتمرون ستوكويل مسؤولا في حيفا منذ ٢١ نيسان ·

(ب) اكد المؤتمرون لستوكويل استمرار رغبة اللجنة الوطنية العربية في التعاون مع البريطانيين من اجل المحافظة على النظام والقانون في حيفا ·

(ج) طلبوا تدخل القوات البريطانية لمنع المجازر ·

(د) في حال رفض القوات البريطانية التدخل طلبوا السماح للنجدات العربية بالوصول الى المدينة ·

في هذا الوقت كانت الحليصا لا تزال ثابتة في وجه كتيبة الميمنة ، وكانت الكتيبة المتجهة من المركزالتجاري لا تزال متأخرة · ولكن كتيبة الوسط وكتيبة الارغون في الميسرة تمكنتا من احراز بعض النجاح ، اما بيجن فقال (صفحة ١٦٥) : « تابعت » القوات اليهودية اختراق حيفا كما تخترق السكين الزبدة وابتدأ العرب الهاربين يصرخون دير ياسين » ·

في الساعة الثالثة صباحا استلم سعد مخابرة هاتفية من سكرتير اللجنة الوطنية العربية ينبؤه فيها بأن اليهود قد وصلوا قلب المدينة العربية (الى الارجح طريق البرج) · عندئذ اتصل سعد بالسلطات البريطانية حالا وطلب تدخلها لاعادة الاستقرار والنظام وايقاف ذبح النساء والاولاد ولكن البريطانيين لم يتدخلوا ·

لقد كان وضع العرب خطيرا ولكن لم يفقد كل شيء بعد · بقيت بناية الخوري مفتاح المنطقة الواقعة جنوب طريق ستانتون تقاوم بضراوة وبقي مركز التلفون في ايد عربية وكذلك استمرت الحليصا في الصمود امام كتيبة الميسرة كما وان الكتيبة الصهيونية المتجهة من المركز التجاري لم تحرز سوى القليل من النجاح ·

وكما ذكر ساشر (صفحة ٢٤٣) اتصل الجنرال ستوكويل بالقائد اليهودي وسأله عن الشروط التي يوافق بموجبها على استلام المدينة · وقد قام ستوكويل بهذا الاتصال كما ذكر ساشر (صفحة ٢٤٣) « لان معالم المعركة بدت واضحة له » كل هذا والقتال لا يزال مستمراوالقضيةلم تكنواضحة للكولونيل كرمائيل كما كانت واضحة للجنرال ستوكويل · وعلى كل وضع كرمائيل شروطه » ·

ان اهمية هذه الخطوة واضحة لاي كان سواء كان عسكريا ام لا · لم يتكلم عربي واحد عن الاستسلام وما من عربي طلب الى ستوكويل ان يبحث في شروط الاستسلام · جرى هذا وستوكويل لم يكترث بمعرفة اراء العرب وهو الذي اجل الاجتماع بهم بدون عذر الى الساعة التاسعة صباحا · لذلك لم تكن رسالته الى الكولونيل كرمائيل سوى تاكيد (اذا كان الفريق الاخر بحاجة الى هذا لتاكيد) بأنه لا يزال مستعدا لمجاراة الصهيونيين الى النهاية · ان رسالته للصهيونيين في اوج المعركة (عندما يتقرر مصير المعارك) كان بمثابة خدمة جليلة لليهود ، « واخبارية لا تقدر بثمن وبكلام اخر كانت تجسسا على العرب · لذلك فانه من الصعب ان

كيف خرج خمسون الف عربي من حيفا ؟

نصدق غير الرواية القائلةبان ستوكويل تامر مع اليهود في هجومهم على حيفا ·

سقوط وذعر

ومما لا شك فيه ان معنويات الصهيونيين ارتفعت من جراء تصرف ستوكويل فتسببت في مضاعفة جهودهم وحوالي الساعة السادسة صباحاتدهورت الحالة بشكل ملحوظ وعلى الاخص في الوسط « حيث دارت اعنف المعارك حول بناية الخوري مما اضطر اليهود الى حرقها قبل تراجع اخر المدافعين العرب عنها » · (ساشر صفحة ٢٤٣) وبعد القليل من الوقت (حوالي الساعة السابعة صباحا) سقط مركز الهاتف فتمكن الصهيونيون من استعماله كوسيلة لزيادة الفوضى والبلبلة · ومن ثم سقطت الحليصا ، وبذلك تمكنت كتيبة الميمنة من تنسيق الكتائب الاخرى ومن الاستمرار في تقدمها عبر وادي رشميا ·

في ذلك الوقت كان مجموع السكان العرب المتجمعين في وسط المدينة القديمة قد بلغ خمسين الفا وكانت كتيبتا الميسرة والوسط قد بدأتا انقضاضهما على طريق ستانتون بينما اخذت سرعة الكتيبة المتجهة من المركزتزداد تدريجيا·

في الساعة السادسة صباحا اتصل سعد بالحاكم البريطاني وسأله بأن يستعمل نفوذه لدى السلطات العسكرية لدى العرب حوالي ٣٠٠ جريحا بينهم سيارات الاسعاف ، وقد اخبره بأن البريطانية من اجل ارسال بعض من هو بحالة الخطر ، ولكن الطلب رفض رفضا باتا ·

وحوالي الساعة العاشرة صباحا عمت المدينة القديمة حالة مريعة من الذعر والفوضى على اثر تدفق اعداد كبيرة من اللاجئين هربا من الكتائب الصهيونية المتقدمة ·

وتحت قصف قنابل الهاون كان الاولاد الابرياء في ثياب النوم والشيوخ في ثيابهم التحتية يحملون « صررا » غريبة من امتعتهم وكانت النسوة يحملن اطفالهن في العراء ·

ولكي نكون فكرة واضحة عن الازدحام يجب ان نذكر بان المسافة بين شارع الحلول وطريق ستانتون لم تكن تبلغ سوى ٥٠٠ ياردة ·

وقد وصف منظر الازدحام هذا شاهد عيان يدعى عصام طه ، قال : « وفجاة بلغنا ان الجيش البريطاني المرابط في منطقة المرفأ على استعداد لحماية كل من يلجأ اليه ، لذلك توجهنا جميعا عبر الممرات المتبقية معنا الى منطقة المرفأ ، وقد كان شق الطريق اليها مريعا اذ ان عدة مئات من الناس كانت قد سدت هذه الممرات وبدأت تتدافع ، كل يحاول ان ينجو بنفسه وبأولاده ، وفي سياق الهرب غاب وعي العديد من الاولاد والشيوخ والنساء وسقطوا تحت ارجل الجماهير المتدافعة · وكاني بهذا اليوم يوم القيامة : وبينما نحن في هذا الحال نتجه في طريق المرفأ لا نلوي على شيء سرت شائعات تقول بأن اليهود قد قطعوا الطريق ، فعدنا ادراجنا وفي نفوسنا جزع عظيم وبدأ الناس من حولي يشتمون ويستنجدون ويولولون ويبتهلون · وبعد برهة قصيرة سرت شائعة اخرى تقول بأن الطريق لا يزال سالكا فعدنا ثانيةنتدافع باتجاه المرفأ··· وما كدنا نصل المرفأ حتى وجدنا رجال الشرطة البريطانيين يقدمون لنا العون ويحملون الاولاد والاطفال ، غير ان الاندفاع الى المراكب كان شديدا فتسبب في غرق العديد من الناس » ·

وقال شاهد عيان اخر يدعى عبد القزق بانه شاهد الاعلام الصهيونية تظهر فجأة « هنا وهناك » على سطوح المنازل العربية كلما اقترب الصهاينة منها ·

ستوكويل والخمسة

وفي هذا الوضع تالفت لجنة طوارىء من خمسة شخصيات عربية لمقابلة ستوكويل بعد ان تأجلت المقابلة قسرا ساعة كاملة (الساعة العاشرة صباحا من جراء صعوبة الوصول الى مركز القيادة · ولما وصل الوفد العرب المؤلف من فريد سعد (من اصحاب البنوك) الياس كوسى (محامي) جورج معمد (محامي) فكتور خياط (مواطن اميركي منحدر من اصل عربي وقنصل اسبانيا الفخري في حيفا) وانيس نصر (قاضي محكمة الاقليم) قدموا الى استوكويل المذكرة العربية · فرفض قبولها مجيبا « بأنه سوف لا يتدخل من اجل وقف القتالولن يسمح للنجدات العربية في الخارج بالدخول الى المدينة الا اذا وافقنا على مبدأ الهدنة » · (سعد) · عندئذ طلب اليه المندوبون العرب بأن يضع قوله الشفهي كتابة فاستجاب · (نص هذا القول موجود)

وبعد ان حاول العرب مطولا اقناع ستوكويل بالعدول عن الشروط وباءت محاولتهم بالفشل تم الاتفاق في الساعة الثانية عشر ظهرا على عقد اجتماع اخر مع الصهاينةفي الساعة الثالثة والنصف من بعد الظهر · عينت قاعة المدينة مركزا لهذا الاجتماع · في هذا الوقت بالذات كان القتال لا يزال مستمرا : بقيت بعض جيوب المقاومة خارج المدينة القديمة ولكن معظم القتال كان يدور حول اطرافها · هذا بينما استمر اللاجئون في تدفقهم الى المرفأ وشرعت المراكب البريطانية بنقلهم بدون انقطاع الى عكا ·

لم تكن لدى لجنة الطوارىء السلطات التي تخولها وحدها صلاحية البت في المسائل المبدئيةالتي نصت عليها شروط الهدنة · لذلك كلفت الياس كوسى (ضابط الاتصال في اللجنة) ان يتصل بدمشق للاستشارة والحصول على الصلاحيات · سلم الياس كوسى في الساعة الثانية عشر ظهرا السيد ثابت العريس القنصل السوري في حيفا برقية موجهة الى الحكومة السورية احتوتعلى شروط الهدنة المعروضةووصفت حالة الذعر وهرب السكان العرب سائلة ارسال التعليمات اللازمة · ولكن دمشق لم تجب رغم تكرار البرقيات · (ان هذا المقطع مأخوذ عن كتابارسله كوسى الى كمشي محرر مجلة « الجويش وبزرفر » في ١٥ تموز ١٩٥٦ · وقد كان هذا الكتاب ردا على مقالة كتبها كمشي عن حيفا ولكن الكتاب لم ينشر في ذلك الحين · ومما يسترعي الانتباه ان كمشي عند نشره لكتاب اخر ورد من كوسى في ٢٩ اب ١٩٥٩ لم يأت على ذكر مقطع اشار فيه كوسى الى كتابه السابق · نشر الكتاب المذكور في مجلة « الجويش اوبزرفر » في ١١ ايلول ١٩٥٩) ·

عندما فقد الامل في وصول الارشادات من دمشق ، تداعى جميع الموجودين من الزعماء العرب الى اجتماع في منزل السيد فكتور خياط · واشترك في هذا الاجتماع حوالي الثلاثين من الشخصيات العربية نذكر منهم فضلا عناعضاء لجنة الطوارىء : رجاديس (ملاك) ، محمد يحيي (محامي)الدكتور ميشال جبارة (طبيب) نظمي عنبتاوي (ضابط مقاطعة) فؤاد خياط (ملاك) جاد سويدان (تاجر) سعيد سويدن (تاجر) ·

وفي الساعة الواحدة ، بعد قليل من انعقاد الاجتماع وصلت معلومات تفيد بان البريطانيين قد ارسلوا سيارتي اسعاف لالتقاط القتلى والجرحى العرب (وقد كان ذلك بعد الهجوم الصهيوني بثمانية عشر ساعة) · واغلب الظن ان هذا العمل كان بمثابة مكافاة لقبول العرب الاجتماع بالصهاينة في قاعة المدينة ·

انعقد الاجتماع في منزل السيد خياط في جو مشحون بالكدر والشؤم ، وبعد اطالة الاخذ والرد والجدل تم الاتفاق على ارسال وفد لحضور الاجتماع في قاعة المدينة رغبة في تعديل الشروط الموضوعة من قبل الصهيونيين : تالف الوفد من الاعضاء الخمسة في لجنة الطوارىء ومن احمد ابو زيد (احد المتعهدين في المرفأ) والشيخ عبد الرحمن مراد ·

وما كادت الساعة تبلغ الثالثة والنصف حتى أقلت اعضاء الوفد الى قاعة الاجتماع خمس من الدبابات البريطانية ، وهناك امام مدخل القاعة استقبلت الجماهير اليهودية الوفد بالسخرية والصفير ·

تمثل الجانب البريطاني في هذا الاجتماع بنفس الاشخاص اللذين كانوا قد حضروا اجتماع الصباح وعلى رأسهم كان اللواء استوكويل ·

وفي الاجتماع تبين ان الهاجاناه واستوكويل لم يرغبا في التوصل الى اتفاق عن طريق المفاوضة · لقد كان كل ما ابتغاه هو املاء الشروط الصهيونية والحصول على موافقة العرب عليها · لقد كانت قضية استسلامبدون قيد او شرط · وفي محاولة لوصف ما دار في اجتماع قاعة المدينة قال كمشي (في كتابه الاعمدة السبع الساقطة) « صفحة ٢٢٠ » :

« لقد خيم على القضية بكاملها جو من الفرح والسرور ، فالفريق اليهودي كان فخورا بانتصاره والفريق العربي مسرورا لخلاصه من المحنة والفريق البريطاني قانعا بحصوله على مرضى الفريقين ··· لقد كان حادث نادر وغريب » ·

وعندما ابدى من العرب تحفظا ازاء الشروط الصهيونية قال لهم ستوكويل: « اذا لم توقعوا على اتفاقية الهدنة هذه فاني سوف لا اعتبر مسؤولا عن سقوط ثلاثمئة او اربعمئة قتيل من العرب قبل الغد » · عندئذ سأله فكتور خياط قائلا « ماذا تحاول ان تفعل ؟ الا تعلم باننا على معرفة بشبتاي ليفي ويعقوب سلمون وجميع افراد هذا القوم ؟ انا لنا فيهم اصدقاء قدامى » · فأجابه ، ستوكويل: « اذا كنتم حقا اصدقاء قدامى فاني ارى انه لا حاجة لخدماتي بعد الان وبالتالي علي بالانسحاب »· وبدون تردد اجابه فكتور « ارجوك ايها الجنرال » فترك ستوكويل ومعاونوه القاعة · (مجلة « الجويش اوبزرفر » في ١١ ايلول ١٩٥٩ نقلا عن شهادة خياط) ·

وفي الساعة الخامسة بعد انسحاب ستوكويل طلب العرب تأجيل الاجتماع لمدة ساعة ونصف وعادوا للاشتراك في الاجتماع الذي كان لا يزال مستمرا في منزل خياط · وقد كان الجدل يعود بهم تكرارا للتساؤل عن مسؤولية بريطانيا ، لقد كانت وحدها مسؤولة عن العرب فيحيفا حتى تاريخ ١٥ ايار· لم يغب عن اذهان المجتمعين ان الموافقة على التسليم بدون قيد او شرط تجعل البريطانيين في حل من مسؤولياتهم عن سلسلة الحوادث التي كانت قد بدأت في منتصف الليل السابق وتقر لليهود بالامر الواقع · لذلك ترددوا في الاجابة ،ملينعودة البريطانيين الى تحمل هذه المسؤوليات · وفي هذه الاثناء كرروا نداء الاستغاثة الى دمشق سائلين التعليمات والارشاد · غير ان دمشق لم تجب · وكما قال كوسى (في مجلة الجويش اوبزرفر)في ١١ ايلول١٩٥٩) استنتجت اللجنة العربية من هذا السكوت ان الدولالعربية اخذت بالفاجعة فلم يكن لديها جواب » ·

تقليل الذعر

غير ان الجواب على المجتمعين في قاعة المدينة كان ضرورة · في هذه الاثناء كانت الكتيبة الصهيونية المتجهة من المركز التجاري قد افلحت في شق طريق لها عبر المدينة القديمة وامنت اتصالها بالكتائب الاخرى · عندها بلغت حالة الذعر والفوضى درجتها القصوى في المدينة القديمة واندفعت على اثرها جماهير غفيرة نحو البحر · وقد ذكر ولسون (صفحة ١٩٣) انه « بينما كان العرب يهربون كانت المراكز اليهودية الامامية تطلق عليهم النيران فتوقع بينهم عددا من الضحايا ·

وفي هذه الاثناء قام البوليس البريطاني بعمل « مجيد » اذ انه عمل على اعادة بعض النظام خارج الاسواق وقلل من تأثيرالذعر على السكن الهاربين وكذلك كان عمل الرماة البحريين في هذا السبيل مشرف ايضا فلقد جرح منهم ثلاثة منالضباط بينما هم يحاولون السيطرة على سيل اللاجئين الجارف» · في هذه الاثناء كان الصهيونيون قد بدأوا في تطويق الشباب واستجوابهم وشرعوا بالقاء الجثث العربية في الاحياء التي لم يكن قد وصلها القتال بعد (غرب شارع الكرمل) رغبة في القاء الذعر بين السكان العرب الباقين هناك وحملهم على الهرب ·

وقد ذكر كوسى (في مجلة الجويش اوبزرفر في ١١ ايلول) ان القنصل الاميركي السيد اوبري لينكوت رأى « اثار التعذيب على عدد من الجثث العربية » · اما في داخل المدينة فقد نشات مشكلة بالغة الخطورة نتجت من وجود عدد كبير من الجرحى والقتلى· وقد ذكر شاهد عيان بأن فرق المتطوعين العرب كانت تقوم بحفر قبور مشتركة للقتلى المسيحيينوالمسلمين وذلك لصعوبة التفريق بينهم · وبقيت مشكلة الجرحى معقدة ، اذ ان عربتي الاسعاف المرسلتين من قبل البريطانيين لم تفيا بالحاجة اطلاقا ·

وفي منطقة المرفأ التي اشتد الازدحام فيها برزت مشاكل المأوى والمأكل والعناية الطبية على نطاق واسع · وقد زاد في سوء الاوضاع هرب المرضى العرب في المستشفى الحكومي مناسرتهم وانضمامهم في ثياب النوم الى الجماهير الغفيرة المزدحمة على الشاطىء ·

الهدنة او الموت

وفي الساعة السابعة والنصف مساء عادت اللجنة الخاصة الى قاعة المدينة مخلفة وراءها الشيخ مراد ، فوجدت ان الجنرال لا يزال مصرا على ضرورة توقيع الهدنة وقد بدى متشوقا للحصول على وثيقة كهذه ، ويبدو ان مأساة حيفا كانت قد تجاوزت توقعات الجنرال ولذلك اراد ان يتسلح بوثيقة موقعة من العرب ليبين ان نتائج حماقته لم تكن الا نتيجة لاتفاق عربي ــ يهودي كانّ له فيه دور الاشراف فقط · (نحن نعلم كم شغلت حيفا بيفن واتلي في هذا اليوم بالذات ــ انظر صفحة ٤٧٣ من مذكرات مونتجومري · وكيف خاطب بيفن مونتجومري الذي كان في ذلك الوقت رئيسا للاركان قائلا « بان الجيش قد خذله · »)

على كل ، حسب قول كوسى (في مجلة الجويش اوبزرفر الصادرة في ١٨ ايلول ١٩٥٩) ان اللجنة العربية المختصة « قالت للجنرال وللذينحضروا الاجتماع في قاعة المدينة · بما ان الذعر قد دب في قلوب العرب فولوا هاربين عن طريق المرفأ وبما ان الجنرال ستوكويل على غير استعداد للتدخل ، لذلك فان كل ما تستطيعه اللجنة هو ان تطلب اليه بان يتخذ الخطوات الضرورية لتأمين النقليات الكافية للناس ولامتعتهم وللسماح لهم بالهجرة الى البلدان العربية · »

وبقرارهم هذا يبدو واضحا انهم لم يعملوا بموجب اية اوامر او قرارات صدرت من الدول العربية او غيرها · ·

لقد كانت السلطات البريطانيةترفض التدخل ولم يكن لديهمالوسائل للاتصال بالمسؤولين العرب شخصيا للحصول على تعليمات واضحة ، حتى ان قنصلا سورية ومصر رفضا ان يسديا اليهم بأية نصيحة ، لقد كان يتعين علينا تحت ضغط الظروف ايجاد طريقة للخلاص من الحالة التي وضعنا فيها الجنرال ستوكويل · كان علينا أما ان نقبل بالهدنة او ان نتسبب بقتل ثلاثمئة او اربعمئة من العرب · فارتأينا بأن المخرج الوحيد يكمن في الطلب الى الجنرال بأن يؤمن لنا ثمانين شاحنة لنقل العرب يقينا منا بأن الجنرال سيعجز عن تأمين هذه النقليات وبذلك ينتهي به المطاف الى استئناف السيطرة على المدينة واجبار قوات الهاجناه على الخروج من المناطق العربية التي كانت قد وقعت في ايديها من اجل تمكين العرب المتجمعين في منطقة المرفأ من العودة الى ديارهم · ولكنه لم يقم بأي من الامرين فاستمر الهرب · »

في هذا اليوم تجول كمشي في الاسواق العربية (الاعمدة السبع الساقطة صفحة ٢٢٠) ·

« وبعدها تجولت في الاسواق العربية ورأيت حالة الفوضى التي ترك فيها العرب ديارهم · انهم لم يتوقفوا لالتقاط الفضة وغيرهامن الاشياء الثمينة التي كان من السهل عليهم حملها باليد»

هذا ما دعاه الصهيونيون بالسياسة المدروسة التي اشرفت عليها جامعة الدول العربية من أجل اجلاء العربعن فلسطين كجزء من مخطط عام وضع بدقة لتسهيل دخول الجيوش العربيةالنظامية·

وفضلا عن ذلك ، لقد لاحظ كمشي (في مجلة الجويش اوبزرفر في ٤ اب ١٩٥٩) قائلا :

« انني لم استطع مطلقا ان اثبت بوضوح كذلك الذي اثبت فيه السيد الخالدي أمر كهذا ، غير انني مقتنع بوجود هذه الكلمات ·

ربما التقط كمشي ومضة من هذه التعليمات بينما كان يتابع مسيره بين اطلال حيفا العربية في ذاك الخميس ، ٢٢ نيسان ١٩٤٨ ·

شعراء من فلسطين

١ مطلق عبد الخالق

اللحن الذي لم يكتمل !!

... الحديث عن شاعرية مطلق عبد الخالق من خلال قصائد ديوانه « الرحيل » حديث فيه كثير من الاجحاف ، اذ أن السبعة والعشرين عاما التي عاشها ليست بالكافية للحكم على شاعريته التي اطفأها الردى قبل أن تكتمل والا لكانت من القرائح الانسانية المبدعة العظيمة .

... فالموت هذا الشبح المرعب القاسي ، وافاه عندما بدأت انغامه تتصاعد فاخمد هذه السمفونية الانسانية وحرمه من اطلاق الحانه ولم يتركها تكتمل .

ففي التاسع من تشرين الثاني سنة ١٩٣٧ ، فيما كان الشاعر مطلق عبد الخالق متوجها الى منزل الاستاذ وديع البستاني ، في حيفا ، للاطلاع على مساعيه بشأن المعتقلين في مخيم المزرعة ، وكان يركب سيارة يقودها يوسف بيدس ، وعند وصولها تجاه « الخضر » حاول السائق تخطي سكة الحديد وكان قطار يافا متجها في منعطف هناك فداهم السيارة وتوفي الشاعر في الحال ونقل جثمانه الى مدينة الناصرة مسقط رأسه ووري في التراب مشيعا بالاهات والدموع والرحمة . مخلفا وراءه قصائد كثيرة جمعها اخوه صبحي واصدرها في ديوان – الرحيل – الذي طبعته مطبعة الاحد في بيروت ١٩٣٨ ثم كتاب – ضجعة الموت – الذي لم يطبع بعد .

ان اول ما يلفت انتباهك ويدعوك للتساؤل في « الرحيل » زهد « مطلق » في الحياة ونظرته اليها بمنظار اليأس القاتل واحيانا بمنظار الصوفية المتزهدة .. ويخيل اليك انك ترى انسانا قلق المصير متبرم مرتبك متردد ينام على حلم ليفيق على احلام . وتارة يريد شيئا واحيانا لا يريد ... ففي قصيدة « طلاسم » يقول : –

نحب ونكره في لحظة
ونشقى ونسعد في ثانية
ونرتاب في الامر حين اليقين
ونؤمن في الريبة الطامية
ونأمل واليأس مستحكم
ونيأس حين المنى راضية
وتضحكنا مبكيات الحياة
ونبكي على الضحكة الداوية
وابصارنا لا ترى في الضياء
وتبصر في الحلكة الداجية
وامس مثل الغد واليوم ما
بينهما في حيرة طاغية
طلاسم فيها يحار النهى
طلاسم مرصودة خافية

الناس هم الذين يتهرب منهم . لا من الحياة كما يرى البعض . وينفر من مجالسهم ومعاشرهم فلماذا ؟

لان راهم يتكالبون على المال كالذئاب ويجنحون الى المادة ويؤلهونها .. فينفر منهم ومن « اصنامهم » الجديدة .

يا عابدي الذهب الخسيس قلوبكم
قدت من الصخر الاصم ، صلاب
يا مال انت أخس شيء في الدنى
ولانت حلوى والانام ذباب
والناس لو علموا الحقيقة ادركوا
يا مال انك ساحر كذاب

فتكالب الناس على المادة وسعيهم الحثيث وراءها ، بل بيعهم اوطانهم من اجلها كل ذلك خلق روحا سوداويه تكره الناس . بهذا سئم الحياة وهو في مطلع الشباب واثر الموت ورأى فيه الخلاص الوحيد . فاذا كان من امنيات الناس الجاه والثروة والغنى والسعادة اما مطلق عبد الخالق فنرى انه يؤثر الموت على كل هذه الاماني : –

اوثر الموت اثره لا تجارى
وارى في الحياة داء وبيلا
اطلب الموت وهو ينفر مني

ما الذي جعل الشاعر يؤثر الموت على الحياة ويرى الحياة بمنظار التشاؤم

يالتعسي . هل اطلب المستحيلا ؟

ومنظار اليأس القاتل ؟ . لماذا لم ينظر لوجه الحياة الباسم ؟ او ليست الحياة جميلة ؟ ولكن مطلق يرى انها تافهة وسخيفة لا تستحق ان يحياها الانسان . اذ ما قيمة الحياة حين يرى ان وجوده يقلق غيره من الناس ؟ وحين يرى ان سعادة الانسان لا تكون الا بشقاء الانسان ؟ .

وخير ما يمتاز به ديوان مطلق عبد الخالق جولاته القصيرة في الهوى . وان كانت تجاربه ظلت في المهد الا انها كانت غنية بحيث وصل لنظريه ان يريد الحب للحب ، واما موعده مع الحبيب فهو الفضاء الرحب والسماء والنجوم حيث عالم اليوتوبيا » .

فتعالي نغيب في حواشي الفضاء
ودعينا نذوب في نجوم السماء
وانفحيني هناك قبلة في الشفاه ..

واما قصائده الوطنية التي تمتاز بنبرتها الخطابية فانها تفتقر الى العمق والتفكير ومتانة الاسلوب اذ ان مضمون قصائده الوطنية كان عاديا وشكله لم يتطور ولم يتقيد رغم وجوده في مرحلة ثورية ، فترى ان معظم قصائده الوطنية مشحونا بالاهات والدموع والندب على ضحايا الوطن ... فقصائده زاخرة بالاسى والتفجع فاسمعه يقول في تحية الشهداء :

اسكب الدمع على أرماسهم
قطرات واذرف الدمع مضاء
صعد الزفرات لا تحبسها
هداة النفس ، واطلقها بكاء
وابتعث منها شكاة واسى
واذب فيها حنينا ونجاء

حتى اذا ما انتهى من الدموع والاهات انتهى بالقصيدة الى الاعتزاز والافتخار بالاجداد شأن معظم شعرائنا .. هذا الاعتزاز اللامجدي الذي كان سببا من أسباب ضياع فلسطين ، وكان مجرد افتخارنا بالماضي كفيل بالحفاظ على عروبة فلسطين وكفانا الله القتال ... اولسنا :

نحن من يعرب فينا شمم
وبدئنا مذ بدئنا اوفياء
وسلوا الدنيا عن امجادنا
وبني الدنيا جميعا والسماء
قد ملكنا الارض بالعدل ولم
نلق الا رحماء نبلاء

وبعد افتخاره بالاجداد ، سلاح الضعفاء ، نراه يستسلم في النهاية فيرمي كل همومه ومتاعبه وآلام امته على الله فهو كفيل بحلها :

عدوك ان اضعت لديه حقا
فعند الله حقك لن يضيعا !

اولم اقل في بداية حديثي ان الحكم على شاعرية مطلق من خلال قصائده التي قالها في مطلع حياته فيه كثير من الاجحاف لان عمره القصير لم يتح لشاعريته ان تتفتح ... ومع ذلك فان له وقفات رائعة في بعض قصائده الوطنية ففي قصيدة الضحايا مثلا يرد على الطابور الخامس الذي كان يعتبر الثوار « زمرة من الاشقياء الطائشين الساعين وراء الثروة » فيرد عليهم :

ما هم اشقياء لكن شقي
كل من قال عنهم اشقياء
والشقي الشقي من يظلم الناس
فيشقى بظلمه الابرياء
فقراء لا يطلبون ثراء
غير ان يدفنوا وهم شرفاء

ولعل اروع قصائده على الاطلاق « لك في الخلود » المهداة لكل من نكب بجسمه ولم ينكب بروحه :

والحر ان يسمع رنين القيد ثار على رنينه
اوما رايت الليث معتقلا يحن الى عرينه
انظر اليه وقد تبدى النور يسطع من جبينه
وانظر الى دمه يسيل من الجراح ومن جفونه
في لونه شفق الاصيل وفيه سحر من فتونه

ولقد ادرك مطلق قبل نهايته معنى وجوده وانه ليس انسانا عاديا بل له رسالة على الارض يجب ان يؤديها :

ارى الموت يدنو من فراشي فانثني
افكر في ماذا عساه يكون
اموت وفي ارضي علي رسالة
اذا خفيت يوما فكيف تبين
الا ايها الموت الذي ساخر
بضعفي تاخر في الفؤاد شؤون

ولكن الردى لم يمهله بل جاءه فجأة ومن دون ميعاد قاطفا الحانه حينما بدأت تتصاعد وبذلك خسرت فلسطين بوفاته شاعرا فذا لو امد الله في عمره لكان من شعرائها المبدعين ..

محمد صالح يونس

● ● ●

الشعر والمعركة

كلمات فلسطينية

ديوان شعر للشاعر حسن النجمي

ان الشاعر العربي حين اختار الشكل الجديد للقصيدة العربية ، لم يرد بذلك تكرار المضامين الكلاسيكية والتي يستوعبها الشكل القديم بحرية ودون ضيق . بل ان هذا الشكل جاء مسايرا لثورة المضمون في القصيدة والتي جاءت بدورها من تغير الخارطة السياسية والاجتماعية والثقافية في الوطن .. فالمضمون تغير دون شك عقب الحرب العالمية ونكبة فلسطين وهذا التغير جاء لكي يستوعب ما جد من أغراض وأفكار نتيجة الحرب والنكبة .

ونكبة فلسطين كتحول في نفسية العربي الشاعر وكأزمة وجودية تعصف به .. النكبة هذه كانت غرضا جديدا هرع اليه الشاعر العربي يعالجه ويغذيه . وحتى نهاية العقد الرابع من قرننا هذا – الذي شهد النكبة – كان احساس العربي اسير الشكل المعهود والذي تجدد مع اطلالة العقد الخامس ورسخ في الميدان . ان النكبة في شعر ابراهيم طوقان وعلي محمود طه وبشاره الخوري وعبد الرحيم محمود .... تحمل سطحية التجربة وسرعة الانفعال والهتاف مما يجرها الى خطابية وحماس يعيبه النقد اليوم . اذ اصبحت فلسطين ترديدا عاديا لا يعدو عن كونه تكرارا للندب والحزن الرومانسي الذي يفقد (دراميته) شيئا فشيئا .

من هنا انتبه شعراء الطليعة اليوم الى ان قضية فلسطين بحاجة الى تعميق جانبها الدرامي في الحس الفردي . فى ضمير العربي الذي انهزم يوما والذي يعيش انتظاره ليوم موعود ..

وكانت مهمة الكشف عن الجوانب الدرامية .. مهمة ليست بالسهولة التي قد يتصورها البعض .. بل انها كانت حصيلة تجديد ثقافي درس فنون الامم الاخرى وادابهم ودرس بالتالي نفسية الجيل الذي تتواقت نهضته مع النكبة ذاتها . فكانت فلسطين في شعر (فواز عيد ومعين بسيسو وعبد الرحمن غنيم وحسن النجمي – الذي نتناول بالعرض هنا ديوانه الاول كلمات فلسطينية) (ويجدر بنا ان نشير الى ذات النهضة والتجديد في القصة الفلسطينية على يد غسان كنفاني وسميرة عزام وحليم بركات ...) . فكانت فلسطين تجربة واحياء للروح العربية الحقة . والشعر الحديث يتميز اليوم بصدق فني ووعي من الشاعر لادواته .. انه محدق مبصر حتى في العتمة . انه يكتب ويحلم وفوق ذلك هو يدري بعقم الحرف وزيف الحلم اذا تجردا عن العمل البناء ..

وحسن النجمي في (كلمات فلسطينية) لا يعالج المأساة مباشرة وبروح خطابية – تخص الخطباء والسياسيين – بل انه يستعين باكثر من اداة ليصف بالتالي هواجس عربي شريد في منفى : فهل للحرف قيمة وهل فيه متنفس ؟

دكناء بلوني ، غاضبة
في المنفى اسقط كلماتي
.... بدم سنخط وصيتنا
قد ماتت كل الكلمات
... هل جئت تفتش عن نزق
لتعيب اللون بفرشاتي
من خيمة منبوذ عطشت
حرفي قد جاءه اشاراتي

هذا هو الحرف عند الشاعر . وحيه خيمة لاجيء عطشى للثار . تاتيه الى المنفى لترى هل هو على الموعد . ام ان الزور يدب لحرفه ...؟؟ ان الشاعر كما قلنا محدق في صميم العتمة .. هو يعلم ان (المنفى قبر النغمات) ويعلم ان احلامه لا تزال في خاطر النسيان :

ارحلت ؟ رحلت على ورق
احلمت ؟ حلمت بنكسات ...

ويستعير الشاعر رمز بابل المنفى التي تشهد العار وترقب القافلة وهو منفي هناك .. واحد يحمل قلبه ومعه هذا الساحر .. القلم ...

(ياكاهنتي
حطمت لاجلك اقلامي
ووهبت المنفى ايامي
ورجعت ، رجعت على شفتي
ترتيلة حب مجنونة
انشودة شوق مفتونة)

وهكذا تتكثف التجربة في شعر حسن النجمي وتاخذ عمقا فلسفيا يميزه الوعي الحاد الذي يصل الى حد الشفافيه المسلحة بالصدق الفني وان لم تسلم بعض القصائد من البكائيات الحادة ينثرها هنا وهناك في ختام القصائد على وجه التخصيص حيث تصل المأساة ذروتها .

وحين تقول بعمق فلسفي لشعر حسن النجمي لا نعني برودة المقولات المعهودة او تقريراتها . بل ان التسلسل المنطقي والاستطراد والوعي بالعملية الشعرية كل هذا يجعلنا ازاء شاعر يعني ما يقول ويدرك ما يقول ..

ان في شعر النجمي ما تصدق تسمية ارشيبالد مكليش في (الشعر والتجربة) بانه « تزاوج الصور » ..

بابل والمنفي والحرف الذي ينفثه والعودة التي تهزج في دمه والثار والموت الذي يترصده في المنعطفات .. كل هذه القضايا وجدت على يد حسن النجمي من يربط بينها ويؤلف منها (سفر النكبة) الذي نحاول تتبعه على لسان الشاعر ..

(حيفا باذار
لم تنتحب يوما صنوبرة
في سفحها ،
لم ينقصم في بحرها صار)

هذه رؤى الوطن الضائع .. نلمحها كبداية السفر .. وتطل في الديوان اكثر من مرة .

كان يحكي لي عن بيارة خضراء
عن زيتونة البيت
وعن دالية الجار
وطعم البرتقال ..
عن ينابيع غنيات وحقل تلال
كان لي دوما يسر :
.... « انا من حيفا ..
اتدري .
لست من هذي الرمال
كنت طفلا عندما غادرتها
– يصرخ – طفلا ما ازال .. »

وكان المنفى في الرمال .. فالطفل خارج وطنه مقهور مضيع .. وليس سوى الحرف وهذا السفر يتجلى بوضوح وتركيز في قصيدتي (المنفى والعودة) و (تشرين والغرق) ... ان الشاعر يثبت هنا ابعاد المأساة التي لم تطمس قط وجهه :

هو ذا في غمرة الزوبع وجهي يتحدى ،
هو ذا وجهي انا
وجهي القديم العربي ..)

بل انه ما زال رغم (حزن الظهيرة) و (النفي) يهزج للعودة ويغني ..

وبعد : فليس الشاعر وحده في خضم المأساة .. انه ابن جيل كامل مفجوع : (منصور) الطفل الذي مات :

(امس في الخيمة والصبح كئيب
مات منصور الحبيب
لم يكن ابصر بعد الوطنا
لم يكن صارع الزمنا .)

وهذا (الرجل الاخر) الذي يموت :

(كان ان عنفته يوما يريني
من تراب الوطن الضائع حبة ..)

وهؤلاء سكن المخيم والمبحرون على زوارق العودة .. .

ان حسن النجمي هنا حنجرة اصيلة وابداع جديد في سماء الشعر العربي .. وان (كلمات فلسطينية) ليثبت ان فلسطين لم تفقد جانبها الدرامي بعد ..

(سوف يمحو الثار ما اهوى
ويبني – من جديد – كل شيء

حاتم محمد صكر
العراق – بغداد

قصائد من المنفى

محمد عز الدين المناصرة

من المنفى ساكتب يا احبائي
من المنفى
اغانينا التي باحت بشكوانا
ولم يسمع لنا شكوى
هنا بجزيرة الالام يا أحباب ملقانا
بافكار الاسى الحيرى
وصمت الشاعر المخنوق والاوهام والذكرى
نجوب مفازة الغثيان
ونبحث في المدى المهجور عن ربان
يقود سفينة الاحزان
الى واد لعين اسمه المنفى
هنا من بطن حوت اليم نادينا
وجلجلنا

« ويونس » مثلنا ضائع
يفتش عن مدى واسع
عن الاوهام يبحث مثلنا يونس
وامواج الخليج تكسرت ظهرا
لتغرقنا لتعلو فوق موتانا
وحوش البحر تأكلنا وحيتانه
وقاع البحر يلعننا
كانا لم نكن بشرا
لان عدونا يصنع
من المرجان عقدا يا عذارانا
ويبني قصره المزهو من أجساد قتلانا
ولم يترك لخلق آخر شبرا
ليحيا مثلما يحيا
جراد الحقد عشش في ليالينا
فأضحت ارضنا قفرا
فلا ظل ولا زاد ولا ماوى
وتنبت ارضنا شوكا
ونحصد شوكنا ملحا

ونأكل غصة الذكرى ولا نقهر
نلوك الحزن والالام لم نجأر
وهذه صخرة وقفت
على اكتافنا رقدت
وحاولنا وحاولنا
ولكن دونما جدوى

من المنفى ساكتب يا احبائي
من المنفى
فمهما الصمت يخفى في جوانحنا
فنار الشوق لا تخفى
بحار الحزن ملتنا
واغرقت السفائن يا احبانا
سفائننا
وربان السفينة ذلك الجبان لن يشفى
وعدنا من بحار الحزن لا شط ولا مرفا
هنا احباب ماضينا
سنلقيها مراسينا
هنا بجزيرة الاحزان
قد ألقت بنا الاقدار
ليغب بوم هذا الشط بالانذار
غراب فوق صفصاف ينادينا
لقد هانت بني الانسان
ستذكر الليالي السود ما اشقاه
وغطى عقلها النسيان
اذا ذكرت بدير ياسين
مذابحه خطاياه
فما أقساه يا احباب ما أقساه .

اساليب المناورات الصهيونية

يقوم اسلوب الاقناع الصهيوني على تفهم مقومات الموقف المحلي ومحاولة استغلال ما فيه من مواطن الضعف مع الحرص دائما على ابراز المصلحة الخاصة وامكنة التقائها مع مصلحة الصهيونية ·

فما ان تبلورت الفكرة الصهيونية اثر المؤتمر الصهيوني الاول في بازل حتى تقدم هرتزل الى السلطان عبد الحميد محاولا استمالته بوعد ، بان يقوم اليهود بدفع الديون التركية واعادة مالية الامبراطورية الى ثباتها وذلك نظير منح فلسطين لليهود · وقد اجاب عبد الحميد على ذلك بقوله : « فليحتفظ بملايينهم · اذا مزقت الامبراطورية فلعلهم اذ ذاك ياخذون فلسطين بلا ثمن · ولكن ما يقتطعونه يجب ان يكون من جثماننا فاني لا اؤمن بتشريح الاحياء » ·

على ان هرتزل ظل يفاوض السلطان ملوحا له بشتى المغريات · وكان مما قاله له ان اليهود انما هم حلفاء المسلمين الطبيعيين ضد المسيحية وانه يتوقع مستقبلا زاهرا للامبراطورية العثمانية متى تجددت دماؤها نتيجة التمويل اليهودي · كما وعده ان يبذل اليهود نفوذهم لتهدئة المشاعر المناهضة للاتراك والهياج في اوروبا ضدهم اثر مذبحة الارمن · على ان السلطان ظل صامدا ولم يزد على ان قال ان لليهود ان يستقروا في شكل متفرق في جميع الولايات الاسيوية للامبراطورية باستثناء فلسطين وبشريطة ان يصبحوا من الرعايا العثمانيين ·

مساعي هرتزل واعوانه متصلة لدى قيصر روسيا تبذل له وعودا من نوع اخر في ان تصبح فلسطين اليهودية مركزا اماميا للثقافة الالمانية · وفي ان يعاون اليهود في تنفيذ اهم مشروعات المانيا التوسعية في الشرق اذ ذاك وهي خط حديد برلين - بغداد ·

ونصح هرتزل القيصر بعض العناصر اليهودية غير المرغوبة في المانيا مثل المرابين (وكانت طلائع الكراهية لليهود قد بدات في المانيا) بان ينقلهم الى فلسطين · وحذره من انه اذا لم ينفذ مشروع اسكان فلسطين باليهود فان « مئات الالاف من مناصرينا سينضمون يدا واحدة الى الاحزاب الثوريه ولكن هم القيصر الاكبر اذ ذاك كان منصرفا الى توطيد العلاقة مع السلطان والعالم الاسلامي فلم يعر هذا الاغراء آذانا صاغية ·

وفي نفس الوقت كان اغراء من نوع ثالث يلوح به الصهيونيون لقيصر روسيا ومن نوع رابع لبريطانيا حيث سارع وزير المستعمرات بالاستجابة بان عرض على اليهود الاستقرار في قطعة من افريقيا الشرقية البريطانية التي تعرف الان باسم كينيا » · ولكن المؤتمر الصهيوني رفض هذا العرض ·

وقد تجددت المساعي لدى الاتراك والالمان ثانية في الحرب العالمية الاولى فوعد اليهود الاتراك ثانية بتسديد ديونهم وبتجنيد جيش من البولنديين اليهود ليقاتل في صف تركيا نظير قيامها بمنح تاكيدات باستعمار اليهود لفلسطين · كما نبه اليهود لاول مرة لخطر تحرك القومية العربية فحذروا السلطان من العرب ووعدوه بانهم متى اخذوا فلسطين استطاعوا القضاء على مطالبهم في الاستقلال الذاتي ·

ومع الالمان تناول الحديث المصالح الالمانية وان الثقافة اليهودية انما هي في صميمها ثقافة المانية وانهم انما « يرغبون في اقامة مركز ثقافي وتجاري حديث على الشواطئ الشرقية للبحر المتوسط يكون بمثابة نقطة ارتكاز مباشرة للحركة الجرمانية » · كما قالوا ان لهذا المشروع اوجها سياسية واقتصادية غير هذا الوجه الثقافي فان فلسطين « يمكن ان تصبح نتيجة الهجرة اليهودية قاعدة سياسية واقتصادية - جبل طارق الماني - على حافة ذلك المحيط العربي الانجليزي » ·

على ان الحجج اليهودية التي اثمرت كانت تلك التي بذلت مع بريطانيا التي سارعت - رغم ما كان يبذل من وعود للعرب اذ ذاك نتيجة مجهودهم الحربي الضخم - باصدار تصريح بلفور في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ ·

عن تقرير سري صادر عن الجامعة العربية - ١٩٦٣

ميناء يافا في آخر صورة

في الصورة : ميناء مدينة يافا ويرى الكورنيش ومنازل البلدة القديمة مع جانب من تل ابيب · ازدحام الحركة بالميناء ·

من الذاكرة

صبا القاهوم

تعالت الاصوات مخدرة فقد حضر زبانية الاستعمار لتطويق البلد من جديد وتدافع الصغار والكبار يطلبون النجاة في الحقول والهضاب المنتشرة حول القرية ، يهربون كي يتفادوا القتل او الاعتقال او السهر على الواح الصبر المليئة بالشوك وذلك اضعف الايمان ·

وانتشر الزبانية في البلد كما ينتشر الطاعون وسيقت النساء الى ميدان البلدة وخلت البيوت من السكان كي يصول فيها الجنود ويجولون دون رقيب او وازع من الضمير ·

وسلطت الانوار الكشافة على المروج المحيطة بالقرية تتبع الهاربين وتعلو الابتسامة الفرحة الوجوه يوم ترى احدهم وقد اتخذ من جذع زيتونة مخبأ وتلي الابتسامة قهقهة عاليه لا يلبث ان طغى عليها طلقات سريعة يتبعها انين ويعود الهدوء المرعب الى السيطرة على القرية سيطرة حتى الدموع محرمة فلو ضبطت احداهن تبكي لراود الزبانية الشك فلا بد انها تبكي عزيزا يقاتل وتلاحقها الاسئلة والتعذيب حتى تعترف اين هو ؟

وتلاحقت الاصوات «الانجليز الانجليز» وطار صغار كوكب ابو الهيجا وتقاعس صالح عن الهرب علّه يستطيع معرفة العدد فينقله الى اولئك المعتصمين في التلال القريبة ·····

ورآه جاره وقد خرج من البيت ابنه طلبا للنجاة فرجلاه لم تبرا بعد من وخز الاشواك التي سار عليها في الاسبوع الماضي ·

وبسرعة وركض ابن الثانية عشرة يلحق بالهاربين من اخوانه وما ان بقي بينهم وبين هضبة النجاة امتار قلائل حتى بدأ الكشاف يرسل نوره وتتبعت السيارات النور وبدا الرشاش يرسل طلقاته السريعة وانطرح العم ابو العبد على الارض ، وظنه صالح يتفادى الرصاص، فاستلقى بجانبه ولكنه استمع الى صوت انين عميق انقطع بعد لحظات قلائل · والتفت وراءه فاذا بالعبد منكفئ على جنبه يضع يده على فخذه الاين محاولا قطع النزف ووصل الزبانية وقبضوا على الفريسة البريئة وتقدم سيمون من صالح وامسك بناصيته بلهجة عربية ساخرة مكسرة تنتابها الخنفة التي اشتهرت عن سكان مستعمرة ملبس : « الى اين ايها البطل الصغير » ؟ وتماسك الصغير وتظاهر بالبله قائلا : لست ادري لقد رايت الجميع يجري ففعلت مثلهم ···

- « ومن هذا ؟ »

- « انه احد الجيران » ·

وحانت من صالح التفاتة الى الشجرة المقابلة فراى عينان سوداوان يلتمع فيهما بريق نقمة وحقد وتحذير وتسمرت عينا الصغير عليهما واستمد الشجاعة من الجريح المقابل الذي اعمى الله اعينهم عنه حتى الان ·

واخرج سيمون الصهيوني الذي عجت بامثاله فيالق الانتقام التي كان يطلقها المستعمر لتعبث فساداً وافسادا ، اخرج مسدسه وعد ست رصاصات اخذ يفركها بين راحتيه امام عيني الصغير وكانه يدفئها او يحاول التاثير عليها حتى تنطلق فتصيب القلب البريء عبأ المسدس ووضعه على صدغ الصغير الايمن مبدئا : اخبرني اين بندقيتك ؟

- « بندقيتي ؟ - »

وتنبه الى صغر سن الصغير وقال ليس لديك بندقية اليس كذلك · ؟ حسنا اذكر لي اذن اسماء من لديهم بندقية في الجبال » ·

وعقد الغدر والخوف لسان الصبي وسيطر على سيمون غضب شديد رفع على اثره قدمه ورفس الصغير فالقاه بعيدا واقترب ثانية ليعيد الكرة ··· ونسي العبد جرحه وغادر مكمنه وزحف يمسك بالرجل المتحفزة للرفس وسقط سيمون على الارض، وذهبت قوته بضياع المسدس الذي سقط بعيدا وتماسك الاثنان وقبضت اليدان البائستان على عنقه كالكلابه وانهى الصراع رصاصتان استقرتا في راس العبد ·

وسقط شهيد اخر من قافلة الشهداء الابرياء